الإعجاز الطبي في السنة النبوية

تأليف
الدكتور كمال المويل

٢٠٠٠

دار الفكر


الإعجاز الطبي
في
السنة النبوية



الطبعة الثانية

1426 هـ ــ 2005 م



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ــ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : دراسات إسلامية

العنوان : الإعجاز الطبي في السنة النبوية

التأليف : الدكتور كمال المويل

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد الصفحات : 184

القياس : 14×20

نوع التجليد : غلاف

الوزن : 0.2 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ابن خلدون

التجليد : مؤسسة حسين عبيدي للتجليد



دمشق ــ حلبوني ــ جادة ابن سينا ــ بناء الجابي

ص.ب : 311 ــ هاتف : 2225877 ــ 2228450 ــ فاكس : 2243502

بيروت ــ برج أبي حيدر ــ خلف دبوس الأصلي ــ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ــ تلفاكس : 01/817857 – جوال : 03/204459

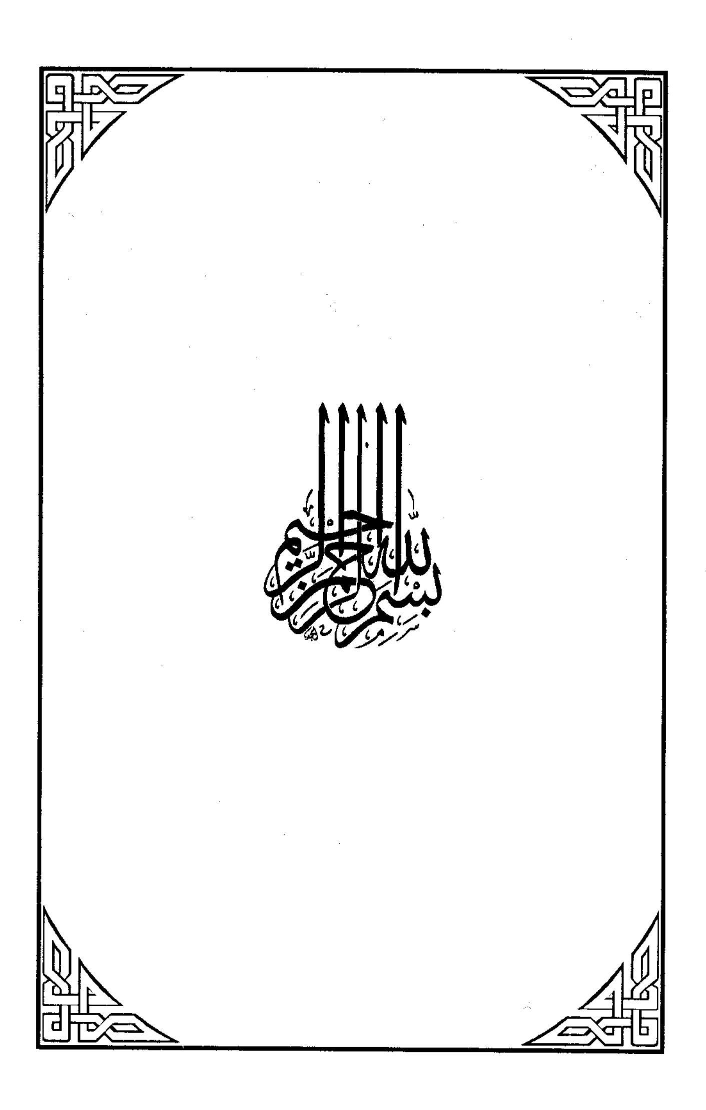
www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

الإعجاز الطبي في السنة النبوية

تأليف

الدكتور كمال المويل




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم إمام المتقين، وقائد الدعاة الهداة المهتدين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

هذا هو الكتاب الثالث في سلسلة الدراسات الدينية العلمية التي أقوم بها، ففي الكتاب الأول (آياتٌ طبيةٌ في القرآن) درست الآيات القرآنية التي لها مدلولاتٌ طبيةٌ حديثة وفي الكتاب الثاني (آياتٌ طبيعيةٌ في القرآن) درست الآيات القرآنية التي لها مدلولاتٌ علميةٌ حديثةٌ في مجال ما يسمى: العلوم الطبيعية، وهي: الكون من حول الإنسان. وفي هذا الكتاب أحاول أن أسلط الضوء على بعض النصوص النبوية التي لها مدلولاتٌ في العلوم الطبية الحديثة.

والملاحظ في النصوص النبوية الطبية أنَّ معظمها يدخل في إطار ما يسمى: الطب الوقائي، ذلك الفرع من العلوم الطبية الذي يهتم بالوقاية من الأمراض قبل حدوثها، كما هو الحال في استخدام السواك، ويهتم بالوقاية من اختلاطات

الأمراض بعد حدوثها، كما هو الحال في علاج الحمى بالماء البارد، وهذا يدل على دور التشريعات النبوية فيما يتعلق بحفظ صحة الإنسان وتحصينه من الأمراض، فلئن كان هدف الإسلام هو هداية الإنسان، أي: تحقيق سلامته العقلية؛ فإنَّ من أهدافه أيضاً صيانة الإنسان، وتحقيق سلامته الجسدية، «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»[1].

يظن كثيرٌ من الناس أنَّ الصحة هي سلامة الجسد، وخلوُّه من الأمراض. والحقيقة أنَّ السلامة الجسدية هي جزءٌ من الصحة، والصحة تساوي السلامة الجسدية زائد السلامة العقلية، زائد السلامة الاجتماعية.

ـ إنَّ التشريعات النبوية الطبيَّة قد تركت الأمور الاختصاصية في الطبِّ لأهل العلم بذلك إنطلاقاً من مبدأ معروف وهو: «استعينوا على الصناعات بأهلها» ولذلك نجد الرسول الكريم ﷺ بالاضافة إلى أنَّه يقدِّم النصائح للمريض يأمره بدعوة الطبيب ودليل هذا: أنَّ رسول الله ﷺ عندما عاد سعداً وهو مريض قال له: «إنك رجل مفؤود، فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فإنه رجل يتطبب»[2].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) (٣٤) كتاب القدر، وأحمد (٢/ ٣٧٠).

(٢) رواه أبو داود (٣٨٧٥) كتاب الطب.

ـ والتشريعات النبوية الطبيّة بينت أنَّ الأطباء ليسوا سواءً، وأنَّ بعضهم أحذق وأطبُّ من بعضٍ، ذكر مالك في الموطأ: (أنَّ رجلاً في زمن رسول الله ﷺ جرح فاحتقن الدم، وأنَّ الرجل دعا رجلين من بني أنمار، فنظرا إليه، فزعما أنَّ رسول الله ﷺ قال لهما: أيُّكما أطب؟)(١).

ـ والتشريعات النبوية الطبيّة حمَّلت المسؤولية لمن يعالج الناس ولا يعلم منه الطب والمعالجة. قال رسول الله ﷺ: «من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن»(٢) وهذا الحديث يدل على إيجاب الضمان على الطبيب الجاهل لأنَّ من يتعاطى علم الطبِّ، وليس له به معرفة يكون قد عرض الأنفس للإتلاف والإهلاك، ولذلك يلزمه الضمان.

إن الإعجاز في التشريعات النبوية الطبيّة هو أنها شرعت في فترة زمنية لم يكن فيها أطباء في الجزيرة العربية، ففي كامل الجزيرة العربية لم يكن هناك سوى طبيب واحد هو الحارث بن كِلدة من ثقيف الذي درس في جامعة جنديسابور

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٤٤) كتاب العين.

(٢) رواه أبو داود (٤٥٨٦) كتاب الديات والنسائي في الكبرى (٧٠٣٤) كتاب القسامة.

في فارس، وهو صاحب القول المشهور: (المعدة بيت الداء والحمية أصل كل دواء).

ـ كما أنَّ أهميتها في كونها سابقة للزمن الذي قيلت فيه، فانظر النصوص الواردة في العدوى ومدى تطابقها مع أصح وأحدث المفاهيم للعدوى.

ـ إنَّ التشريعات النبوية المتعلقة بحفظ الصحة والطب الوقائي والحجر الصحي لهي من أقدم التشريعات.

يظن كثير من الناس أنَّ القدماء لم يتركوا شيئاً لمن جاء بعدهم؛ والحقيقة ليست كذلك فالنصوص القرآنية تؤكد أنَّ القدماء لم يعرفوا كل شيء، وما كان لهم أن يعرفوا كل شيء، فالنصوص لها وقت يعرف فيه معناها، وهي لا تعرف قبل وقتها:

١ ـ فانظر إلى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] فعندما نزل النص كانت الآيات لم تر بعد والرؤية ستحصل في المستقبل كما تؤكد ذلك (السين) للمستقبل.

٢ ـ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] إنها وصفٌ لحال الكافرين، وما هم عليه من الجهل بتكذيب أمر لم يحصل تفسيره بعد،

أي: لم يعرف، وهذه إشارة إلى أن التفسير سيعرف في المستقبل.

٣ ـ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨] فحين نزول النص لم يكن نبؤه معلوماً وسيعلم في المستقبل.

٤ ـ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣] فهم لا يستطيعون معرفتها قبل أن يريهم الله إياها، فالآيات لم تر حين نزول النص، ولذلك لم تعرف، وهي سترى في المستقبل، وعندها ستعرف.

إن كل هذه النصوص تؤكد أنَّ العلم علمان: علمٌ معروفٌ، وعلمٌ سيعرف، والعلم الذي سيعرف هو في عداد الغيب النسبي، أي بالنسبة للناس في زمن محدد هو غيب، ولكنه يتكشف للناس في زمن آخر فيتحول من الغيب النسبي إلى عالم المشاهدة، ومن العلم الذي سيعرف إلى العلم المعروف.

وأخيراً أقول: إن قراءة هذا الكتاب تؤكد: أنَّ القدماء قد تركوا الكثير لمن هو بعدهم، وأنَّ من واجب المسلمين البحث في معاني النصوص ودراستها في ضوء الحقائق العلمية التي توصل إليها الإنسان؛ لأنَّ بعض هذه النصوص لم

يقع تأويله في الأزمنة السابقة، وهذا هو الإعجاز المتجدد الذي تتسم به الرسالة النبوية.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى مكتب التحقيق العلمي في دار الكلم الطيب ودار ابن كثير؛ لما بُذِلَ من جهدٍ في تخريج الأحاديث، وضبط النص، وإخراج الكتاب، على أتم وجهٍ وأكمله.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وإنفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

* * *

الفصل الأول
الأمر بالتداوي

قال رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داءٍ دواءً، فتداووا، ولا تداووا بحرامٍ»[1].

وقال أيضاً: «لكل داءٍ دواءٌ، فإذا أُصيب دواءٌ الداءِ برىء بإذن الله عز وجل»[2].

جاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله أنتداوى؟! قال: «نعم يا عباد الله تداووا فإنَّ الله عز وجل لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً غير داءٍ واحدٍ. قالوا: ما هوا؟ قال: الهرم»[3].

هذا الكلام النبوي إثباتٌ للأسباب، وأمرٌ بالأخذ بهذه الأسباب، وإبطالٌ لقول من أنكرها.

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٧٤) كتاب الطب.

(٢) رواه مسلم (٢٢٠٤) (٦٩) كتاب السلام.

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٧٨).

بعض الناس يظنُّ أنْ لا حاجة للتداوي، وأنَّ الشفاء من الله، كما أنَّ المرض من الله، ويقولون: إذا كان الشفاء قد قُدِّر؛ فإن التداوي لا يفيد، وإذا كان الشفاء لم يُقدَّر؛ فإن التداوي لا يفيد، وأن المرض قدر من الله، وقدر الله لا يُدفع، ولا يُردُّ. وكلُّ هذا ما هو إلا فهمٌ خاطئٌ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] وأقول: إن كل هذا لا ينفي التداوي، والأخذ بالأسباب سعياً في حصول الشفاء، والأدلة على ذلك:

١ ـ أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فلنقرأ ما قبلها، فإنَّ القرآن يفسر بعضه بعضاً ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩، ٨٠] فالله تعالى لا يطعم الإنسان ويسقيه، بأن يضع الطعام والشراب في فمه، وإنما خلق الطعام، وخلق الشراب، وعلى الإنسان أن يتناول الطعام والشراب، أي: يسعى في الأسباب، وكذلك الشفاء، على الإنسان أن يتناول الدواء حتى يحصل له الشفاء، أي: عليه أن يسعى في الأسباب.

٢ ـ حقيقة التوكل هو: اعتماد القلب على الله مع مباشرة الأسباب. أي: إنَّ التوكل اعتمادٌ وعملٌ، وأما الاعتماد بلا عمل؛ فما هو إلا التواكل الذي حذر منه الرسول الكريم ﷺ

بقوله لمن ترك الناقة، ولم يربطها، فضاعت: «اعقلها وتوكل»[1].

٣ ـ كذلك الفهم الخاطىء للقدر، فالقول بأنَّ المرض قدر من الله صحيحٌ، والقول بأن الشفاء قدر من الله صحيحٌ، أما القول بعدم التداوي فخاطىءٌ؛ لأن التداوي أيضاً من قدر الله.

٤ ـ إن الله تعالى عندما أراد شفاء أيوب عليه السلام من مرضه أمره قائلاً: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢] أي: اضرب الأرض برجلك، إن الله قادر على شفاء أيوب دون أن يركض برجله، ولكنه تعالى أراد أن يعلمنا الأخذ بالأسباب، والسعي في طلب الشفاء بالتداوي.

٥ ـ الأحاديث السابقة كلها تؤكد التداوي، وتأمر به «فتداووا ولا تداووا بحرامٍ»[2]. «نعم يا عباد الله تداووا»[3].

إن الأمر بالتداوي هو معجزةٌ اجتماعية ترفع المجتمع إلى مصاف الحضارة، وذلك أنَّ التداوي لا يكون إلا باكتشاف الدواء؛ أي: العلاج، والعلاج لا يكون إلا باكتشاف المرض، واكتشاف المرض لا يكون إلا باكتشاف الكثير من

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٧٣١).
(٢) سبق تخريجه ص(١١).
(٣) سبق تخريجه ص (١١).

السنن الكونية، والاجتماعية، والبيولوجية الإنسانية، أي: إن الأمر بالتداوي هو أمر باكتشاف السنن، والقوانين الكونية، والاجتماعية، والبيولوجية، وهو أمر باكتشاف الأمراض، وهو أمر باكتشاف العلاجات، وهو أمر بتناول هذه العلاجات، إنَّ تحقيق التداوي بتحقيق هذه الأمور الثلاثة هو ارتفاع بمستوى المجتمع الإنساني إلى مصافِّ الحضارة، والتقدم، والعلم. وهذا هو وجه الإعجاز في التزام الناس بهذا الأمر النبوي.

«لكلِّ داءٍ دواءٌ»[1] هكذا يقول الرسول الكريم ﷺ وهذا يعني والله أعلم: أنه ليس هناك داءٌ بلا دواءٍ، عرف الإنسان هذا الدواء، أم لم يعرفه، وهذا يشمل حتى الأمراض المستعصية التي يجهل الناس علاجها الآن، وبالتالي فالكلام النبوي بارقة أملٍ للمرضى بوجود الدواء، وإنْ كان الأطباء يجهلونه، وبارقة أمل للأطباء بأن يسعوا في كشف الدواء، فهو موجود، وإن كانوا لا يعرفونه.

إن الأمر بالتداوي يعني: اللجوء إلى الطبيب، ودعوته لمعالجة المريض، كما جاء في الحديث: «فأت الحارث بن

---

(١) سبق تخريجه ص (١١).

كلدة من ثقيف فإنه رجل يتطبب»[١] وهنا كذلك نجد أنَّ الأمر النبـوي يـوجـه المـؤمنيـن إلـى الطبيـب الأحـذق، والطبيـب الأطب، وهذا موجود في سؤال الرسول الكريم ﷺ للرجلين من بني أنمار: «أيكما أطب؟»[٢].

وفي هذا الكلام النبوي توجيه للطبيب أن يكون حاذقاً، وأن يكون أحذق من غيره في مهنة الطب، وهذا يجعل الأطباء في منافسة لتحصيل أكبر الخبرات، وأكثر المهارات، أي: ارتقاء بمستوى الأطباء ومستوى مهنة الطب.

* * *

(١) سبق تخريجه ص (٦).

(٢) سبق تخريجه ص(٧).

الفصل الثاني
أهمية الطب الوقائي

ثبت في الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«لا يوردَنَّ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ»[1]

مع أن الكثير من الأحاديث قد أشارت إلى الطب الوقائي وأضربُ على ذلك أمثلةً: الوقاية من عقابيل الحمى بالماء البارد، والوقاية من الإصابة بالطاعون، فإنَّ هذا الحديث قد نصَّ صراحة على الطب الوقائي ليس في مرضٍ محدَّدٍ وإنَّما في كلِّ الأمراض.

وقبل أن أتحدث عن الطب الوقائي وأهميته لا بدَّ من تحديد معنى الحديث، فهناك مريضٌ، ولأنه ينشر المرض يسمى: مُمْرِضْ، وهناك صحيحٌ، ولأنه يحافظ على الصحة يسمى: مُصِحّ، والحديث ينهى الممرض من الورود على المصح، لماذا؟..

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧١) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٢٠) (١٠١) كتاب السلام.

في الحقيقة: إذا كان لدينا مريضٌ وصحيحٌ، فإنَّ انتقال المرض من المريض إلى الصحيح يكون عن طريق المعاشرة، والمؤاكلة، والمجالسة، والملامسة ما بين المريض والصحيح وهذا هو المقصود من الورود، وليس مجرد المرور، وانتقال المرض يكون بورود المريض على الصحيح، كما يكون بالعكس، أي: بورود الصحيح على المريض، ومن هنا فإنَّ النهي في الورود وإن كان المخاطب به المريض، إلا أنه أيضاً يشمل الصحيح، وهذا هو المقصد الشرعي من الحديث، أمَّا لماذا وجِّه النهي إلى المريض ولم يوجه إلى الصحيح؟

فهو أنَّ النَّهي لو وجه إلى الصحيح لكان في ذلك إحراجٌ له أمام المريض، لأنَّ المريض سيظنُّ أنَّ الناس قد ابتعدوا عنه، وتخلو عنه في محنته، وفي ذلك زيادة لمرضه، أما توجيه النَّهي للمريض، وقيام المريض بعدم الورود على الصحيح؛ فلا يشكل إحراجاً للصحيح.

إنَّ الطبَّ الوقائي، والطبَّ العلاجيَّ كلاهما فرعان من فروع الطبِّ وكلاهما يقاوم المرض، الأول يقاومه بإجراءاتٍ تقوم على عدم الإصابة بالمرض، والثاني يقاومه بالتخلص منه بعد حصوله، وإصابة الإنسان به. رغم التقدم الهائل في الطبِّ العلاجي، ورغم التقدم الهائل في اكتشاف العلاجات لكثيرٍ من الأمراض التي كانت مجهولة العلاج، ورغم أنَّ

الطبَّ الوقائيَّ قد لاقى الإهمال من قبل بعض المدارس الطبية الغربية إلا أن الاهتمام بالطب الوقائي قد عاد الآن إلى الازدياد، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ إنَّ الطبَّ العلاجيَّ لا يشفي من كل الأمراض، فهناك الكثير من الأمراض التي ليس لها علاج، ونخصُّ بالذكر الأمراض الفيروسية، أي: الأمراض التي يكون العامل المسبب فيها فيروس (حمة راشحة) ومن هذه الأمراض:

شلل الأطفال الذي ينتهي في كثير من الأحياء بشلل في أحد الطرفين السفليين، أي: بعاهةٍ دائمةٍ، ومدى الحياة عند الإنسان، هذا المرض الذي ليس له علاجٌ الوقاية منه سهلةٌ جداً وذلك بأخذ اللقاح المعتاد لشلل الأطفال، وقبل وجود اللقاح كانت الوقاية منه بالابتعاد عن المريض، وعزله، أي: «لا يوردنَّ ممرضٌ على مصحٍّ»[١].

ومن الأمراض التي ليس لها علاج: التهاب الكبد بنوعيه الألفي والبائي وخاصة البائي الذي قد يسبب الوفاة، إنَّ هذا المرض ليس له علاج، ومع ذلك فله لقاح يمنع حدوثه، كما

---

(١) سبق تخريجه ص (١٦).

أنَّ الإجراء المتبع فيه قبل وجود اللقاح كان: «لا يوردن ممرض على مصح»[1].

ومن هذه الأمراض مرض العصر الإيدز فالعامل المسبب فيه هو حمات راشحة، وهو مرض قتَّال وليس له علاجٌ، كما ليس له لقاح للوقاية منه، والإجراء المتبع للوقاية منه عزل المريض تماماً كما قال الرسول الكريم ﷺ: «لا يوردنَّ ممرضٌ على مصح»[2].

٢ ـ السبب الثاني: هو تقليل الكلفة الاقتصادية، فهي كلفةٌ كبيرة في الطبِّ العلاجيِّ، وهي كلفةٌ زهيدةٌ في الطبِّ الوقائيِّ إنَّ الكلفة الاقتصادية تشمل أسعار العلاجات التي يتناولها الإنسان، كما تشمل التعطيل عن العمل الذي يلحق بالمريض من جراء المرض، أو من نتائجه، كالعاهة الدائمة في شلل الأطفال. وقديماً قال الحكماء: (درهم وقاية خير من قنطار علاج) هذا الكلام لا يشير فقط إلى أنَّ الوقاية خير من العلاج، وإنما أيضاً إلى: أنه إذا كانت كلفة الوقاية درهم؛ فإنَّ كلفة العلاج قنطار. وهذا واضح من إسناد الدرهم إلى الوقاية وإسناد القنطار إلى العلاج.

---

(١) سبق تخريجه ص (١٦).
(٢) سبق تخريجه ص (١٦).

٣ ـ السبب الثالث من أسباب ازدياد الاهتمام بالطبِّ الوقائي هو: الخوف من أثر الأمراض على الفرد وعلى المجتمع، وبالتالي التخلص من الأثر الفردي، والأثر الاجتماعي لهذه الأمراض، والمثال على ذلك: شلل الأطفال، فهو يترك عاهةً دائمةً عند الشخص المصاب، لها آثارها السيئة على صحة الفرد الجسدية بالذات، وعلى صحة الفرد النفسية أيضاً، كما لها آثارها السيئة على الصحة الاجتماعية بشكلٍ عام.

٤ ـ حتى في الأمراض التي لها علاج؛ فإن نسبة الشفاء ليست ١٠٠٪، وقد ينتهي المرض باختلاطات، أو عقابيل سيئة على الفرد، في حين أنَّ نسبة الشفاء بالوقاية من المرض هي ١٠٠٪، هذا ناهيك عن أنَّ كلَّ دواءٍ وإن كان له تأثيره الجيد والمعالج للمرض؛ إلا أن له تأثيره السيء وغير المرغوب فيه، فلكلِّ دواء تأثيرٌ علاجيٌ مرغوبٌ فيه ومفيدٌ، كما له تأثيرٌ جانبي غير مرغوبٍ فيه وضارٌ.

* * *

الفصل الثالث

الردُّ على من أنكر العدوى

قال رسول الله ﷺ: «لا يوردنَّ ممرضٌ على مصحٍّ»[(١)] وقال أيضاً: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، وفِرَّ من المجذوم كما تَفِرُّ من الأسد»[(٢)].

(العَدْوى): يقال: أعداه المريض: إذا أصابه منه بمقاربته، ومجاورته له، أو مؤاكلته، ومباشرته.

(الطِيَرَةْ) ما يتشاءم به من الفأل الرديء، وكانت العرب تتطير من الغراب، والأَخْيل، ونحوهما من الطيور، وتتشاءم به، ويرون أنَّ ذلك مانعاً من الخير.

(الهامة) وهو طائر كانت العرب تزعم: أنَّ عظام الميت بعد قبره تصير هامة فتطير.

---

(١) سبق تخريجه ص (١٦).

(٢) رواه البخاري (٥٧٠٧) كتاب الطب.

(صَفَرْ) هو الشهر العربي المعروف، وكانت العرب تحله عاماً، وتحرمه عاماً.

قد يظن القارىء أنَّ هناك تعارضاً بين الحديثين: «لا يوردن ممرض على مصح» و«لا عدوى» وقد يظن أنَّ هناك تعارضاً داخل الحديث الثاني بين الجملتين (لا عدوى) و(وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)، وما حقيقة هذا الظن إلا أنَّ هناك تصورين متعارضين عن العدوى، الأول تصور ديني سائد: أنه (لا عدوى) أي: إنكار لمفهوم العدوى. والتصور العلمي القديم القائم على أنَّ العدوى تحصل، وينتقل المرض من شخص إلى آخر بالمؤاكلة، أو المعاشرة.

والحقيقة أن كلا التصورين الديني السائد، والعلمي القديم ليسا صحيحين. إنَّ أحاديث رسول الله ﷺ إذا تعارضت مفاهيمها فإما أن أحدها ليس صحيحاً وإما أنَّ فهمنا لأحدها ليس صحيحاً، أمَّا إذا صحت الأحاديث من جهة السند، وصحت مفاهيمنا للأحاديث فلا يجب أن يكون هناك تعارض، وتفصيل الكلام في العدوى وفي أحاديثها على النحو التالي:

١ ـ إن الأمراض نوعان: أمراض غير معدية، كالأمراض الرضية: الرضوض، والكسور، والخلوع. والأمراض الاستحالية، كاحتشاء القلب، وارتفاع شحوم الدم. وهذه

ينطبق عليها حديث رسول الله ﷺ: «لا عدوى» والنوع الثاني: هو الأمراض المعدية، وهي موضوع الدارسة.

٢ ـ لذلك يجب تحديد مفهوم العدوى بشكل صحيح بالنسبة للأمراض المعدية. إنَّ الجراثيم، والفيروسات قد تنتقل من مريضٍ إلى صحيح فلا تمرضه، ولكنه يصبح حاملاً للجراثيم والفيروسات، أي: حاملاً للمرض وليس مريضاً، وقد تنتقل من مريضٍ إلى صحيح فتمرضه، وقد تنتقل من مريض إلى صحيح فلا تمرضه، بل تسبب له مناعة ضد المرض، ثم إنَّ الصحيح الحامل للمرض قد تنتقل منه الجراثيم والفيروسات إلى صحيح فتمرضه. وباختصارٍ نقول: قد تنتقل الجراثيم من مريض إلى صحيح فلا تمرضه، وقد تنتقل من مريضٍ إلى صحيح فتمرضه، والعكس أيضاً: قد تنتقل الجراثيم من صحيح إلى صحيح فتمرض الثاني، وقد تنتقل من صحيح إلى مريض، فتزيده مرضاً. والجديد في هذا المفهوم هو وجود الحامل للمرض دون إصابته بالمرض، وحدوث حالة التمنيع عند صحيح انتقل إليه العامل الممرض، أو عند مريض أصيب بالمرض، وشفي منه مع حصول المناعة.

إذاً المرض ليس بالعدوى، وإنَّما العدوى تهيىء الفرصة للإصابة بالمرض فقط.

فالمرض قد يأتي من مريض، وقد يأتي من صحيح، وقد يأتي لا من هذا ولا ذاك، ولذلك ليس صحيحاً أن يقال: إنَّ مخالطة المريض يجب أن تسبب العدوى، وليس صحيحاً أن يقال: إنَّ مخالطة المريض لا تسبب أيَّة عدوى. والمفهوم الصحيح للعدوى: أنها تهيىء الفرصة للإصابة بالمرض، وهذا هو المفهوم العلمي الحديث.

٣ ـ ثم إنَّ انتقال الأمراض المسببة بالجراثيم، أو الحمات، أو الفطور ليس واحداً، فهناك أمراضٌ تنتقل بالهواء، مثل: الرشح (الزكام). وهناك أمراضٌ تنتقل بالغذاء، أو الماء، مثل: الزحار. وهناك أمراضٌ تنتقل بالحشرات، مثل: الطاعون. وهناك أمراض تنتقل بالتماس بين الصحيح والمريض، مثل: الزهري، ولذلك ليس صحيحاً أن نضع كل هذه الأمراض في تصنيفٍ واحدٍ من جهة العدوى.

٤ ـ ثم إنَّه ليس كل انتقال للجراثيم، أو الحمات، أو الفطور يسبب المرض، فهناك عددٌ لهذه الكائنات المنتقلة حتى تحدث المرض، ثم إن هناك مقاومة الجسم للمرض، فمثلاً عدد الطفيليات الكافي لإحداث مرض الإفرنجي يجب أن يكون أكثر من (٥٧) طفيلياً، وكذلك فإن الحمَّات الراشحة إذا انتقلت من مريض إلى صحيح؛ فإن الصحيح قد لا يمرض

ولكنه يحمل العامل المسبب للمرض، ثم إنَّه لظرفٍ ما كأن يستحم في الماء البارد يضعف جسمه ويحصل المرض.

٥ ـ والمرض الواحد قد يكون معدياً وغير معديّ في نفس الوقت، وذلك بأن يكون له شكلين، مثل: الجذام، فالشكل الأول المسمى: الجذام الورمي، معدي، والشكل الثاني المسمى: الجذام الدرني، غير معدي، وهذا يفسر لنا لماذا قال رسول الله ﷺ: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد»[١] ولماذا أكل مع المجذوم من نفس القصعة.

٦ ـ من الواجب علينا أن نجتنب المرض لكي لا نهيىء الفرصة لاحتمال إصابتنا بالمرض.

٧ ـ «لا عدوى» ليس نفياً لمفهوم العدوى وإنما معنى ذلك: لا يعدي بعضكم بعضاً أي إقرار لمفهوم العدوى، ونهي للمسلم عن إحداثها، تماماً كما هو القول (لا ضرر) أي: لا يضر أحدكم الآخر، وليس نفياً لمفهوم الضرر؛ لأن الضرر موجود.

* * *

(١) سبق تخريجه ص (٢١).

الفصل الرابع
الوقاية من الطاعون

ثبت في الصحيحين أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«الطاعون رجسٌ أُرسل على بني إسرائيل وعلى من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه»[(١)].

الطاعون مرضٌ وبائيٌ يتصف بحمَّى، والتهاب عقد لمفاوية، وباندفاعاتٍ جلديةٍ، وأحياناً بأعراضٍ رئويةٍ. وللطاعون ثلاثة أشكالٍ سريرية:

١ ـ الطاعون الدبلي: وهو النمط المشاهد عادةً، ويتصف بضخاماتٍ في العقد اللمفاوية، وهي السبب في تسميته: الدبلي.

٢ ـ الطاعون الإنتاني الدموي.

٣ ـ الطاعون الرئوي.

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٣) كتاب الأنبياء.

والشكلان الأخيران خطيران؛ إذ يندر أن يشفى منهما المصاب.

أولاً ـ التوزع والانتشار: كان يعدُّ الطاعون من الأمراض الشديدة الانتشار، والمؤدي إلى ملايين الوفيات، إلا أنَّه خفَّت الوفيات الآن بسبب استعمال الصَّادَّات الحيوية، والطاعون يستوطن الآن في الصين، والهند، وبورما، وبعض شواطىء البحر الأبيض المتوسط وبعض المناطق في أفريقية، وأمريكية.

ثانياً ـ العامل المسبب: هو عصيات الطاعون المسماة: الباستوريلا الطاعونية التي تتلف سريعاً بأشعة الشمس وفي حرارة ٦٠ درجة، والمطهرات العادية، وتبقى حيةً في البرد لمدةٍ طويلةٍ.

ثالثاً ـ مصدر العدوى الرئيسي: هو الجرذان، وتنتقل العصيات إلى الإنسان عن طريق البراغيث، والمصدر الثاني: هو الإنسان المصاب، والمصدر الثالث: هو لحوم الحيوانات المصابة.

رابعاً ـ طرق الانتقال: هي لدغ البراغيث (الانتقال عن طريق الحشرات) وكذلك للقطيرات التي تخرج من جهاز التنفس عند المصاب (الانتقال عن طريق الهواء) وكذلك أكل لحوم

الحيوانات المصابة كالجمال مثلاً (الانتقال عن طريق الغذاء).

خامساً ـ دور الحضانة (٢ ـ ١٠) أيام، أي: إنَّ المرض يبدأ عند المصاب بعد انتقال العصيات الطاعونية وإصابته بها بعد (٢ ـ ١٠) أيام، والمقصود ببدء المرض: هو ظهور الأعراض السريرية.

سادساً ـ المعالجة: تكون بإشراك نوعين من الصَّادَّات الحيوية، وهما: الستربتومايسين + التتراسكلين، أو لستربتومايسين + الكلور أمفينكول.

قد يظن القارىء: أنه طالما للمرض علاجٌ فلا خطر منه، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالطاعون مرضٌ قتَّال، وإنَّ نسبة انتشاره وإن كانت قد خفت مقارنة مع الماضي، إلا أن نسبة الوفيات منه الآن على رغم من المعالجة بالصَّادَّات هي (٥٠٪) أي: نصف المصابين يموتون، وقد تصل هذه النسبة إلى (٨٠٪) وذلك في الشكل الدموي، والشكل الرئوي، وأقول على الرغم من المعالجة أيضاً.

ومن هنا الحاجة إلى الإجراءات الوقائية، وإلى الطب الوقائي في التعامل مع الطاعون، وذلك لعدم جدوى الطب العلاجي في ٥٠٪ من الحالات.

إن الإجراء الأهم والأساسي في الوقاية من الطاعون هو: الحجر الصحي، والمقصود بالحجر الصحي هو: عزل كلِّ مصاب بالمرض، وكذا كل من تعرض للمرض، بحيث لا يدخل عليهم أحدٌ إلى المكان الذي هم فيه، ولا يخرج منهم أحدٌ لخارج المكان الذي يعيشون فيه، تماماً كما ورد في الحديث: «فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فراراً منه»(١).

إن الدخول على المرض هو إلقاء بالنفس إلى التهلكة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وهو أيضاً قتل للنفس والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] وإن الخروج من الأرض التي وقع فيها الطاعون هو قتل للآخرين بنشر المرض، وإصابة الأصحاء به، وهذا أيضاً مخالف لتعاليم الإسلام التي تحرم قتل الآخرين، وحتى لو لم يحصل القتل فإن الإيذاء حاصل للنفس بالدخول على المريض، وللغير بالخروج إلى الأصحاء، والقاعدة الشرعية: «لا ضرر ولا ضرار»(٢).

ومع أن الحجر الصحي هو الإجراء الأهم في الوقاية من

---

(١) سبق تخريجه ص (٢٦).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣١٣) وابن ماجه (٢٣٤٠).

الطاعون؛ إلا أن مجموعة من الإجراءات أيضاً تدخل تحت هذا العنوان، عنوان: الحجر الصحي. والوقاية من الطاعون وضبط الوباء في حال حصوله؛ وهي:

١ ـ تعقيم حوائج المصابين، وملابسهم، وتعقيم مفرغاتهم، وكلِّ ما تلوث بهذه المفرغات، وتعقيم الغرفة التي يعيش فيها المصاب.

٢ ـ العاملون في السلك الطبي وكل من دانى المريض أو دخل غرفته يعتبر متعرضاً للمرض، ولذلك يجب إعطاؤهم الصَّادَّات الحيوية كالستربتومايسين، أو السلفاديازين، كما يجب إلباسهم معاطف حماية، وقفازات، وأقنعة بلاستيكية، وتعقيم ملابسهم.

٣ ـ إعطاء اللقاح لكلِّ من يكون عرضةً للطاعون، أي: المخالطين للمرضى. وهذه اللقاحات هي عصيات الطاعون، إمَّا مقتولةً، أو مضعفةً لتشكيل مناعةٍ عندهم ضدَّ المرض.

٤ ـ قتل الجرذان، والبراغيث، وذلك بالقيام بحملةٍ لإبادتها، وكذلك قتل الحيوانات المصابة، وعدم أكل لحومها.

٥ ـ مراقبة كل من تعرض للمرض لمدة (١٤) يوماً قبل الحكم بعدم إصابته بمرض الطاعون.

* * *

الفصل الخامس
الوقاية من الجذام

١ ـ ثبت في صحيح مسلم: «أنَّه كان في وفد ثقيف رجلٌ مجذوم فأرسل إليه النبيُّ ﷺ: ارجع فقد بايعناك»[(١)].

٢ ـ وروى البخاري في صحيحه: أنَّ النبي ﷺ قال: «فِرَّ من المجذوم كما تَفِرُّ من الأسد»[(٢)].

٣ ـ وفي سنن ابن ماجه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تديموا النظر إلى المجذومين»[(٣)].

٤ ـ وروى الترمذي: «أنَّ رسول الله ﷺ أخذ بيد رجل مجذوم فأدخلها معه في القصعة، وقال: كل باسم الله، ثقةً بالله، وتوكلاً عليه»[(٤)].

أولاً ـ **الجذام**: مرض الإنسانية القديم، عرف في مصر منذ

---

(١) رواه مسلم (٢٢٣١) (١٢٦) كتاب السلام.

(٢) سبق تخريجه ص (٢١).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٥٤٣) كتاب الطب.

(٤) رواه الترمذي (١٨١٧) كتاب الأطعمة.

عهد الفراعنة في حوالي (٤٠٠٠) قبل الميلاد، كما عرف في الصين حوالي (٢٠٠٠) قبل الميلاد، كما أشارت إليه الكتب الهندية، واليونانية القديمة. أما أجدادنا العرب فقد عرفوا الجذام جيداً، ووصفوا له عدة أشكالٍ سريريةٍ، وإن أول مجذمةٍ شُيِّدت في التاريخ لعزل واستقبال المرضى هي: المجذمة التي أنشأها الوليد بن عبد الملك في دمشق. إنَّ الجذام، والجدري، والطاعون شكلَّت عبر التاريخ أوبئةً حصدت العديد من الشعوب في القرون الوسطى، وتركت بصماتها.

ثانياً ـ يتواجد الجذام حالياً: في الهند، وآسيا الشرقية، وأفريقيا، وأمريكا الجنوبية، وأمريكا الوسطى. وتقدر إصاباته الحالية بحوالي (١١) مليوناً في العالم، يصطفي الجذام الأنسجة الباردة من الجسم، كالجلد، والأعصاب السطحية، والأنف، والبلعوم، والحنجرة، والعينين، والخصيتين. والأعراض الأساسية في الإصابة الجذامية هي: الأعراض الجلدية، والأعراض العصبية.

ثالثاً ـ العامل المسبب: هو المتفطرة الجذامية التي اكتشفها هانسن عام ١٨٧٣ ومن هنا سمي: داء هانْسِن، ومدة الحضانة؛ أي: الفترة بين دخول الجرثوم للجسم، وظهور الأعراض السريرية تقدر وسطياً بسنتين. أما طريقة الدخول،

فهو الجلد، وبالتحديد السحجات، والجروح في الجلد، أي: التماس الصميمي الطويل الأمد. والجذام مرضٌ معدي إلا أن عدواه قليلة.

رابعاً ـ الأشكال السريرية: للجذام شكلان سريريان أساسيان هما:

١ ـ الجذام الوَرَمي: هو الشكل الخبيث من المرض، ويشاهد إذا كان المصاب قليل المقاومة للأخماج، ويتظاهر بشكل أورام جلدية ضخمة، تشوه شكل المريض، وتعطيه سحنة الأسد، ومن هنا سمي الجذام: داء الأسد، وأكثر الأماكن إصابة في هذا الشكل هي: الوجه، والأنف، وشحمتي الأذنين، والمناطق المكشوفة. وهذا الشكل معدي، ويشاهد فيه التهابات الأعصاب، ولكن بشكلٍ خفيفٍ، ومتأخرٍ.

٢ ـ الجذام الدَرَني: وهو الشكل الحميد من المرض، ويحصل إذا كانت مقاومة المريض للأخماج قويةً، والأعراض الأساسية في هذا الشكل هي: الإصابات العصبية، حيث يشكو المريض من النمل، والخدر، وفقدان حس الحرارة، والألم، ونشعر بالأعصاب المتأثرة كحبال غليظة. وهذا الشكل غير معدي، والتظاهرات الجلدية تكون بشكل بقع جلدية ناقصة الصباغ، أو مفرطة التصبغ، أو بقع حمامية

وسفية، وقد تكون التظاهرات العصبية بشلول الأعصاب في الوجه، ومنه السحنة الجامدة، أو السحنة الأنطونية.

خامساً ـ المعالجة الحديثة للجذام: تقوم على إعطاء مركبات السلفون والريفامبيسين، والكلوفازيمين، أي: الصَّادَّات الحيوية، كما تعالج الأورام بالتاليدوميد، والكورتيزون.

في الوقاية من الجذام نلاحظ في الحديث الأول: أن الرسول الكريم أرسل إلى المجذوم «ارجع فقد بايعناك»[1] ونلاحظ في الحديث الرابع أنَّ الرسول ﷺ: «أخذ بيد رجل مجذوم فأدخلها معه في القصعة»[2].

قد يظن البعض أنَّ هناك تعارضاً بين الحديثين، وقد يظنُّ آخرون أنَّ الأصل هو الحديث الأول، وأن الحديث الرابع من قبيل المواساة. والحقيقة لا هذه، ولا تلك، ففي حديثنا عن الجذام قلنا: إنَّ له شكلين: شكل معدي، وهو: الشكل الورمي، وشكل غير معدي، وهو: الشكل الدرني، فالابتعاد عن المجذوم، والفرار من المجذوم يكون في الشكل الورمي. أما الاستمرار في حياة طبيعية مع المجذوم؛ فيكون في الشكل الدرني، ومن هنا لا تعارض بين الحديثين.

---

(١) سبق تخريجه ص (٣١).
(٢) سبق تخريجه ص (٣١).

الشكل الورمي الإصابة الأساسية فيه هي: الأورام، والشكل الدرني الإصابة الأساسية فيه عصبية.

إن المعالجة الوقائية في الجذام تكون في الشكل الورمي من الجذام، وذلك بعزل المجذومين عزلاً تاماً والابتعاد عنهم، وكذلك بإعطاء اللقاح لأهل المصاب والمشرفين عليه وقاية من الإصابة، وكذلك بتحسين الشروط الصحية، والغذائية للمصابين.

بقي أن نقول: إن العدوى في الجذام لا تكون إلا بالتماس الصميمي الطويل الأمد، وأن دخول العوامل المسببة إلى الجسم لا يكون إلا من خلال جروح وسحجات في الجلد. إذاً لماذا «لا تديموا النظر إلى المجذومين»[1]؟.

العلة هنا ليست الخوف من إنتقال المرض إلى السليم، وإنما هي الأثر النفسي الذي يتركه منظر المجذوم في السليم، فالجذام يجهم وجه صاحبه، ويجعل وجهه مليئاً بالأورام، أي: يشوه شكله، فتصبح سحنته كسحنة الأسد، والنظر إليه يترك أثراً نفسياً سيئاً في نفسية الناظر، ولذلك كان الأولى تجنب النظر إلى المجذومين.

* * *

(١) سبق تخريجه ص (٣١).

الفصل السادس

علاج الحمى

ثبت في الصحيحين: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الحمَّى أو شدَّة الحمَّى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء»[1].

يظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ الحمَّى مفيدةٌ، وأنَّ ارتفاع الحرارة يشفي من الأمراض، ولذلك فهم يعمدون في علاج الحمى إلى تدفئة المريض، وتغطيته للمحافظة على هذا الإرتفاع في درجة الحرارة. فهل هذا صحيح من الناحية الطبية؟.

سوف ننظر في هذا الاعتقاد من ناحيتين: من ناحية الطبِّ النَّبويِّ، ومن ناحية الطبِّ الحديث.

وقبل أن نشرع في الكلام عن تدبير الحمى لا بأس أن نتكلم عن الحمى ذاتها من حيث التعريف، ومن حيث الأسباب.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٢٥) كتاب الطب، ومسلم (٢٢٠٩) (٧٨) كتاب السلام.

إن حرارة الجسم تتراوح بين (٣٦,١) درجةً في الصباح الباكر، و(٣٧,٢) درجةً بعد الظهر، ولذلك فمن الأسلم اعتبار درجة حرارة أكثر من (٣٧,٢) دليلاً على المرض في شخصٍ مستريحٍ، أو شخص قام بنشاطٍ معتدلٍ.

إنَّ حرارة الجسم في حال الصحة ثابتةٌ ضمن حدودٍ ضيقة، رغم تغير حرارة البيئة، ورغم النشاط الفيزيائي، وهذا ما ينطبق ليس على الإنسان فحسب، وإنما على الطيور والثدييات، ولذا سميت هذه الحيوانات بذات الدم الحار.

وتُحْدِث الأمراض العامة دائماً ارتفاعاً في درجة الحرارة فتَحْدُث الحمَّى، والحمَّى مؤشرٌ حساسٌ وصادقٌ لوجود المرض، وحتى لو لم يحدث المرض حمَّى صريحةً فإنَّ أثره في تنظيم الحرارة يكون جلياً بشكل توهجٍ، أو شحوبٍ، أو تعرقٍ، أو عرواء، أو شعور غير عادي بالحرارة، أو البرودة.

إنَّ الأمراض التي تسبب الحمّى كثيرةٌ، ويمكن تصنيفها على الشكل التالي:

١ ـ الأخماج جميعاً سواء كانت مسببةً عن جراثيم، أو حمَّات، أو طفيليات.
٢ ـ الرضوض الآلية، أي الرضوض الصادمة.
٣ ـ الأورام.
٤ ـ اضطرابات تكون الدم، وخاصةً انحلالات الدم.

٥ ـ الحوادث الوعائية، مثل: احتشاء القلب، أو الرئة، أو الدماغ.

٦ ـ الأمراض المناعية.

٧ ـ بعض الاضطرابات الاستقلابية الحادة كالنقرس، أو فرط نشاط الدرق. ومع أنَّ أسباب الحمَّى، أو الأمراض المترافقة بحمى كثيرةٌ إلا أنَّ الحمَّى ليست واحدةً، وإنّما هناك أربعة أنواعٍ من الحمّى، وذلك حسب درجة الحرارة:

١ ـ الحمَّى الخفيفة: وتكون درجة الحرارة بين ٣٧,٥ ـ ٣٨,٥.

٢ ـ الحمَّى المعتدلة: وتصل درجة الحرارة إلى ٣٩.

٣ ـ الحمَّى الشديدة: وتصل درجة الحرارة إلى ٤٠,٥.

٤ ـ الحمَّى الشديدة جداً: وذلك عندما تتجاوز درجة الحرارة ٤٠,٥.

ونتقل الآن للحديث عن تدبير الحمى فنقول:

إنَّ الحمى الخفيفة والمتوسطة لا تحدث أذىً، وقلَّما تسبب إزعاجاً، لذلك نادراً ما تستلزم العلاج، وهذا ما أشار إليه الحديث الشريف عندما قال: «الحمَّى أو شدَّة الحمَّى» فالعلاج يتوجه في الحديث الشريف إلى الحمَّى الشديدة، والشديدة جداً، وليس إلى الحمَّى الخفيفة، أو المتوسطة. وهو عندما يتوجه إلى الحمَّى الشديدة لا ينصح بالعلاج فقط

وإنما يأمر به أمراً، وهذا واضحٌ من فعل الأمر «فأبردوها»، وفي هذه الحالات يكون خفض الحرارة مسألة حياتية، وهذا ما نجده في الحالات التي تسببها الحمَّى الشديدة كضربة الحر، أو ضربة الشمس، أو الصدمة الحموية، أو قصور القلب، أو الهذيان، ولكن أخطر ما تسببه الحمَّى هو ضربة الحر؛ إذ أنَّ هذه الحالة المرضية هي حالة مميتة ما لم تعالج، وبشكل إسعافي.

وعلاج الحمَّى بالماء البارد هو الهدي النبوي في تدبير الحمَّى، وهذا ما يثبته العلم من أنه يجب خفض الحرارة بعلاجها بضدها، وهو البرودة، وأنَّ تركَ الحمَّى على حالها قد يسبب كثيراً من الأذيات في الجسم إبتداءً من العرواء، ثم الهذيان، ثم قصور القلب، أو الصدمة الحموية، وإنتهاءً بضربة الحرِّ والموت.

ولذلك كل حالات الحميات عندما تشتد الحرارة تعالج بالماء، والعلاج هنا إسعافي؛ إذ لا مجال في الوقت للعلاج السببي، أي: إزالة المرض؛ لأن ذلك يتطلب أياماً، وربما أسابيع حسب السبب، بينما الأذية من ارتفاع الحرارة تحدث في ساعات.

والعلاج بالماء يكون بطريقين:

١ ـ الطريق الداخلي: وهو الشراب.

٢ ـ الطريق الخارجي: وهو الاغتسال بالماء البارد، أو وضع

الكمادات الباردة على الجسم.

إنَّ الأساس في خفض حرارة الجسم هو ضياع الحرارة، وذلك بوضع الأعضاء الجسمية بتماس مع الماء البارد، فالجسم الحار عندما يحاط بالماء يفقد قسماً من حرارته، فقسمٌ من الحرارة يقوم بتسخين الطعام والشراب الداخل للجسم، ومن هنا إدخال الماء البارد يساهم في زيادة هذا الضياع، وقسم من الحرارة يضيع من خلال الجلد، ومن هنا يساهم الماء البارد في زيادة هذا الضياع إذا لامس الجلد.

إنَّ خفض الحرارة بالتبريد الخارجي له عدة أساليب، فهناك البطانيات المبردة، وفي حال عدم توفرها يمكن استخدام الكمادات المبردة؛ أما في حال ضربة الحرِّ فيجب غطس المصاب بالماء المثلج، وكذلك وضع المريض في تيار من الهواء البارد يساهم في خفض الحرارة.

إنَّ كل هذا الكلام حول تدبير ارتفاع الحرارة في الطب الحديث دليلٌ قاطع على صحة القول النبوي، والطبِّ النبوي في علاج الحمَّى بالماء البارد عندما قال: «فأبردوها بالماء» ودليلٌ على بطلان الاعتقاد العامي في تغطية المحموم، وتدفئته؛ إذ أنَّ ذلك لا يزيد المرض إلا ايذاءً.

* * *

الفصل السابع
علاج الإسهال بالعسل

ثبت في الصحيحين:

«أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إنَّ أخي يشتكي بطنَه، وفي رواية استطلق بطنُه، فقال: اسقه عسلاً، فذهب، ثم رجع، فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك يقول: اسقه عسلاً. فقال له في الثالثة، أو الرابعة: صدق الله، وكذب بطن أخيك»[(١)].

إنَّ قراءة هذا الحديث بدقةٍ وبمنظارٍ علميٍّ حديثٍ سوف ترشدنا إلى عدة مسائل:

أولاً ـ المسألة الأولى: حول دور العسل في علاج الإسهال الحادِّ. فمن الواضح أن ما يشتكي منه هذا الصحابي وبلغة الطب الحديث هو حالة إسهالٍ حادٍّ، ومن المعروف أنَّ

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٤) كتاب الطب، ومسلم (٢٢١٧) (٩١) كتاب السلام.

الأغلبية الساحقة من الإسهالات الحادة سببها جرثومي، أي: التهابات معوية، وإنتانات معوية بالجراثيم، سواء كانت هذه الجراثيم غازية، أي: تغزو جدار الأمعاء، وتسبب الإسهال الحادَّ، أم كانت مُذَيْفِنَة، أي: تقبع في مكانٍ ما، وترسل ذيفانها الذي يؤثر في جدار الأمعاء مسبباً الإسهال الحادَّ، وكمثالٍ على الجراثيم الغازية: العصيات الكولونية التي تسبب الزحار العصوي، وكمثالٍ على الجراثيم المذيفنة نذكر ضمات الهيضة؛ التي تسبب الكوليرا.

فإذا عرفنا من هذا الكلام أسباب الإسهال الحادِّ، فما هو دور العسل في مكافحة هذه الأسباب؟..

إنَّ من أهم خواص العسل أنه وسط غير صالح لنمو الجراثيم، ولذلك فهو قاتلٌ ومبيدٌ لهذه الجراثيم، وفي تجربة قام بها أحد العلماء ويدعى (ساكيت) لدراسة أثر العسل على الجراثيم قام بزرع مختلف أنواع الجراثيم في العسل الصافي، وكانت النتائج: أنَّ أنواعاً من الجراثيم ماتت خلال بضع ساعات، في حين أنَّ أنواعاً أخرى أشدّ ماتت خلال عدة أيام، وبذلك ثبت: أنَّ العسل يقتل كل أنواع الجراثيم، ولكن بمدد زمنية مختلفة، لقد ماتت طفيليات الزحار بعد عشر ساعات، وماتت جراثيم التيفوئيد بعد أربع وعشرين ساعة، وماتت جراثيم التيفوس بعد ٤٨ ساعة، وماتت جراثيم

الالتهاب الرئوي بعد أربعة أيام. وهكذا يبدو مؤكداً دور العسل في علاج الإسهال الحادِّ من خلال خاصيته المميزة في قتل الجراثيم والطفيليات التي تسبب هذا النوع من الإسهال.

ثانياً ـ المسألة الثانية: وهي أنَّ هناك نوعين من العلاجات: علاجات عرضية، أي: تخفف، أو تزيل الأعراض، ولكن لا تقضي على العامل المسبب. وهذا النوع من العلاجات لا يحتاج إلى زمن طويل حتى تظهر نتائجه، وإنما تظهر خلال مدة قصيرة تقدر بالساعات. والمثال الساطع على هذا النوع من العلاج علاج الحمَّى بالماء البارد. والنوع الثاني من العلاجات: هو العلاجات السببية، أي: العلاجات التي تقضي على العامل المسبب، ومعنى ذلك: أنَّ الأعراض لا تزول حتى يتم القضاء على العامل المسبب، وهذه العلاجات تحتاج لمدةٍ طويلةٍ، تقدر بالأيام، وكمثال على هذه العلاجات: علاج الإسهال الحادِّ بالعسل، فهو يحتاج لأيام، ومن هنا نقرأ الحكمة في تكرار أخذ العلاج ثلاث مراتٍ، أو أربع.

ثالثاً ـ المسألة الثالثة: وهي تكرار سقي العسل الوارد في الحديث له مدلول طبيٌّ صريحٌ، وهو أنَّ الدواء له مقدارٌ، وكميةٌ بحسب الدَّاء، فإنَّ كان مقدار الدواء قليلاً قصّر عن إزالة الداء، وإن كان مقداره كبيراً أوهن الجسم وسبب له

الإيذاء، ومن هنا عندما رجع الرجل إلى الرسول ﷺ وقال: لم يغن عنه شيئاً؛ أمره بتكرار الجرعة، وبقي يكرر له الجرعة حتى وافق مقدار الدواء حالة الداء، وكان الشفاء.

رابعاً ـ المسألة الرابعة: وهي أنَّ قوله: «صدق الله» إشارة إلى قوله تعالى في القرآن: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] أي: إشارة إلى تحقيق نفع هذا الدواء، وفي قوله: «كذب بطن أخيك» إشارةٌ إلى كثرة المادة الفاسدة في بطنه، وأنَّ الداء الذي في بطنه كان يحتاج إلى جرعات متكررة من العلاج بالعسل، فربما كان سبب الإسهال نوعٌ من الجراثيم يحتاج إلى أيام حتى يقضي عليه العسل.

والكلام هنا نوع من التشبيه، فكأنَّ البطن باستمراره على الإسهال بعد تناول العسل، كأنه بفعله هذا يقول عن العسل: ليس فيه شفاء للناس، ولكن تكرار الجرعة حتى حصول الشفاء، أكَّد صدق قول الله، وكذَّب قول البطن.

خامساً ـ ولكن كيف يقاوم العسل الجراثيم؟ وما هي الآلية في ذلك؟

يتصف العسل بعدة مزايا، هذه المزايا تمكنه من مقاومة الجراثيم:

١ ـ يحتوي العسل على حمض النحل، وهو من المواد المضادة للعفونة.

٢ ـ يحتوي العسل على الماء الأوكسجيني المعروف بتأثيره القاتل للجراثيم.

٣ ـ يحتوي العسل سكاكر بتركيز مرتفع تصل إلى ٨٠٪ من تركيب العسل حيث إنَّ الوسط السكري العالي لا يسمح بنمو الجراثيم، بينما الوسط السكري المنخفض تنمو فيه الجراثيم.

٤ ـ يحتوي العسل على مواد مثبطة لنموٍّ الجراثيم، هذه المواد هي من منتجات النحلة حيث أنها لا توجد في العسل الصناعي.

* * *

الفصل الثامن

الخواص العلاجية للعسل

قال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاثٍ: شَرْبَةِ عسل، وشَرْطَةِ محجم، وكيَّةٍ بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكيِّ»[1].

وقال أيضاً: «عليكم بالشفائين: العسل والقرآن»[2].

وقال أيضاً: «من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم البلاء»[3].

وقال الله تعالى عن العسل في القرآن: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

إنَّ النصوص الواردة عن العلاج بالعسل لهي من أثبت النصوص، وأكثرها رسوخاً، والاستشفاء بالعسل في الطبِّ الشَّعبيِّ هو من أكثر الاستشفاءات شيوعاً، ومع ذلك فإنَّ

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨١) كتاب الطب.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٥٢) كتاب الطب.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٥٠) كتاب الطب.

إدخال العسل في صناعة الأدوية الحديثة لا يزال ضعيفاً ونادراً، وهذا يجعلنا نتكلم في الخواص العلاجية للعسل، وبالتالي معرفة الحالات المرضية التي يفيد فيها العسل:

١ ـ إنَّ من أهم الخواص العلاجية للعسل هي كونه وسط غير صالح لنمو الجراثيم، والطفيليات، فهو قاتل ومبيد لكل أنواع الجراثيم والطفيليات، ولا أَدَلَّ على ذلك من أنَّ الحفريات في مصر دلت على وجود إناء عسل داخل الهرم مضى عليه أكثر من ثلاثة آلاف عام ولم يتطرق إليه الفساد. هذه الخاصيَّة في العسل تفيد في علاج الإنتانات، والالتهابات الجرثومية، والفطرية.

٢ ـ العسل ينظم الحموضة المعدية، فهو يزيدها إذا كانت ناقصةً، وينقص الحموضة المعدية إذا كانت زائدةً، هذه الخاصية تفيد في علاج القرحات المعدية، والقرحات العفجية، والتهابات المعدة، أي: الأمراض التي تزيد فيها الحموضة المعدية.

٣ ـ يسرع العسل في التئام الجروح، وذلك لأنه يزيد إفراز الجروح لمادة الغلوتاتيون التي تنشط نمو الخلايا وانقسامها الطبيعي، إضافةً إلى كونه ينظف الجروح بقتلِه للجراثيم، وهذا يسرع التئام الجروح.

٤ ـ يفيد العسل في الوقاية من نخر الأسنان، وذلك لأنَّه

مبيد للجراثيم من جهةٍ، ولأنَّه سكر طبيعي غير قابل للتخمر، كما هو الحال في السكاكر الصناعية، ولأنَّ تركيز السكر فيه عالٍ ٨٠٪ وبذلك يشكل وسطاً غير قابل لنمو الجراثيم.

٥ ـ يفيد العسل في الداء السكري. (أولاً): بأن تناول ٢٠غ منه صباحاً و٢٠غ منه ظهراً لا يغير في مستوى سكر الدم، فهو بديل عن المواد السكرية التي ترفع سكر الدم. (وثانياً): بالوقاية من احمضاض الدم الذي يعتبر اختلاطاً خطيراً للداء السكري. (وثالثاً): باحتوائه على مواد مشابهة للأنسولين، وبالتالي يساهم في خفض سكر الدم.

٦ ـ يفيد العسل في علاج عسرات الهضم؛ لأنه يساعد على الهضم لاحتوائه على أنزيمات هاضمة كالأميلاز، والليباز، والكاتلاز.

٧ ـ يمنع العسل حدوث الإمساك، وذلك لاحتوائه على مواد عطرية طيارة تنشط الحركات المعوية، ولاحتوائه على مواد تكافح الإمساك.

٨ ـ يفيد العسل في معظم أمراض الكبد، والطرق الصفراوية، لأنه مادة مغذية للنسيج الكبدي، ولأنه يزيد احتياطي الكبد من مولد السكر.

٩ ـ يفيد العسل في معالجة الأمراض العينية التالية: التهاب حواف الأجفان ـ التهابات القرنية ـ كثافات القرنية ـ قرحات القرنية ـ حروق العين، وذلك لأنه يقي من الإنتان، ويحسن التروية الدموية، ويغذي النسج، وخاصةً قرنية العين التي تتغذى بالارتشاح.

١٠ ـ يفيد العسل في الأمراض القلبية؛ لأنه يحسن إرواء العضلة القلبية، ويمدها بالطاقة، ويوسع الأوعية الإكليلية.

١١ ـ يفيد العسل في بعض حالات القصور الكلوي، وذلك لاحتوائه على كمية قليلة من البروتينات والأملاح، ولكونه مدراً للبول.

١٢ ـ يفيد العسل في معالجة فقر الدم؛ لأنه يزيد الكريات الحمر، ويزيد الهيموغلوبين الدموي.

١٣ ـ يفيد العسل في تخفيف وذمة الدماغ، وذلك لأنه مادة سكرية مفرطة التوتر، لها مفعول مقاوم للوذمات.

١٤ ـ إن الخاصية المقاومة للإنتان التي يمتاز بها العسل تجعله يفيد في: التهاب اللوزات والبلعوم ـ التهاب البلعوم الضموري ـ التهاب الأنف الضموري ـ التهاب الجيوب المزمن ـ التهاب الأذن الوسطى القيحي ـ إلتهاب الأنف الحاد ـ التهاب البلعوم والقصبات ـ التهابات الفم القلاعية.

هذا غيض من فيض مما يفيد فيه العسل من الأمراض والأدواء، حتى أننا نستطيع أن نسمي العسل ليس دواءً فحسب وإنما صيدلية من الأدوية تماماً كما وصفه القرآن ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ وأخيراً أقول: إن الاستفادة من العسل في علاج الأمراض ليست عشوائية، وإنما تحتاج لمعرفة الكمية المستخدمة، والمدة الزمنية، والكيفية التي يستخدم فيها العسل، وإلا فإن الاستخدام العشوائي لا يؤدي إلى الشفاء.

* * *

الفصل التاسع
التداوي بالحجامة

قال رسول الله ﷺ: «خير ما تداويتم به الحجامة»[1].

وعن ابن عباس: «أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجره»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاث: شَرْبَةِ عسل، وشَرْطَةِ محجم، وكَيَّةٍ بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»[3].

هذه الأحاديث فيها تشريع الحجامة كواحدة من الوسائط العلاجية ليس في كل الأمراض، وإنما في الأمراض التي تتحسن أو تشفى بالحجامة، ودليل ذلك: أنه في روايةٍ «الشفاء في ثلاث شربة عسلٍ، وشرطة محجمٍ، وكيةٍ بنار

---

(١) رواه البخاري (٥٦٩٦) كتاب الطب، ومسلم (١٥٧٧) (٦٢) كتاب المساقاة.

(٢) رواه البخاري (٢٢٧٨) كتاب الإجارة، ومسلم (١٢٠٢) (٦٥) كتاب المساقاة.

(٣) سبق تخريجه ص (٤٦).

توافق الداء»[1] أي: إنَّ العسل والحجامة والكي ليس دواء لكل داء، وإنما دواء لبعض الأدواء، ومن هنا واجب المسلمين في البحث عن الأمراض التي تستفيد بالحجامة، أو العسل، أو الكي.

ومع أن العلاج بالحجامة قد قلَّ في الوقت الحاضر، فإنَّه لا زال مشروعاً في عدد من الأمراض، فما هي الحجامة؟ وما هي استطبابات الحجامة؟ . . .

تجرى الحجامة للحصول على احتقان موضعي في الجلد وذلك بوضع أوعية مخلاة من الهواء قسمياً تدعى: المحاجم.

والمحاجم (يسميها العامة كاسات الهوا) هي عبارة عن أقداح مصنوعة من الزجاج الكثيف، وتكون مدورة منفوخة القعر. والحجامات نوعان:

١ ـ الحجامات الجافة، وتكون بوضع المحاجم على الجلد مباشرة بعد إفراغ الهواء منها.

٢ ـ الحجامات الدامية وتكون إذا بُزِغَ الجلد قبل وضع المحجم عليه. ولعمل الحجامة تُهيَّأ عدة محاجم زجاجية مع قضيب معدني يلف على نهايته قطعة من القطن مبللة بالغول.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٣) كتاب الطب.

وأما وضعية المريض فمن المستحسن أن ينام على جنبه المقابل للطرف الذي ستطبق عليه المحاجم، ويمكن عملها والمريض في وضعية الجلوس، شريطة أن يميل إلى الأمام.

تستطب الحجامات الجافة في الحالات التالية:

١ ـ الالتهابات الرئوية.

٢ ـ الآلام العصبية القطنية.

٣ ـ الآلام في العضلات.

٤ ـ عضلات الظهر في حال إصابتها بالروماتيزم.

٥ ـ الاحتقانات بشكل عام.

أما الحجامات الرطبة فقد انعدم استعمالها لوجود طريقة أفضل منها، وتحقق الغاية من إجرائها وهي الفصادة (سحب الدم) حيث أن الحجامات الرطبة تعرض المريض للإصابة بالإنتان الموضعي أثناء التبزيغ، كما أن الحجامات الرطبة ممنوعة عند المصابين بالناعور.

الفصد هو سحب الدم من الأوردة بواسطة المحاقن، وهو مفضل على الحجامة؛ لأنه يجنب المفصود الإصابة بالإنتان الموضعي نتيجة استخدام المشرط، كما أنه يمكن من الاستفادة من الدم المفصود بإعطائه لمريض محتاج إليه، وعلى هذا الأساس أنشئت بنوك الدم في كل أنحاء العالم.

وتستطب الفصادة في الحالات التالية:

١ ـ بعض الأمراض الدموية كاحمرار الدم.
٢ ـ احتقانات الرئة.
٣ ـ وذمة الرئة.
٤ ـ الاحتقانات الدماغية الناجمة عن ارتفاع ضغط الدم.
٥ ـ المريضات المصابات بالإرجاج النفاسي.
٦ ـ حالات التسمم بغاز أول أوكسيد الفحم (co) شريطة إعاضة الكمية المأخوذة بكمية مماثلة من الدم، أو المصل الفيزيولوجي في حال عدم وجود الدم، وهذا الشرط في حالات التسمم فقط.
٧ ـ أخذ الدم من المتبرعين بغية استعماله في الإعاضة عن دم النازفين والمبضوعين.

يعمل الفصد بواسطة إبرة تدخل في أحد أوردة ذراع المريض، ويجب أن تكون الإبرة واسعة القناة، ويؤخذ (٣٠٠ ـ ٥٠٠) سم٣ من الدم، وهذه العملية البسيطة أنقذت حياة الكثير من المرضى.

طريقة إجراء الحجامة على الشكل التالي:

يشعل القطن المبلل بالغول، ويمسك باليد اليمنى بواسطة القضيب الزجاجي الحامل له، ثم يؤخذ المحجم باليد اليسرى، وتدخل فيه قطعة القطن المشتعلة التي تسخن هواء المحجم، وتستهلك الأوكسجين الموجود فيه، ثم يطبق

المحجم على الجلد بسرعة، فتدخل فيه الأقسام الرخوة بسبب الفراغ الحاصل فيه، ويترك المحجم في مكانه ٣ ـ ٥ دقائق.

ولرفع المحجم يضغط الجلد في محيط المحجم باليد اليسرى، فيدخل الهواء إلى جوفه، ويتم بذلك رفعه بسهولة، ويبقى الجلد بعد نزع المحجم محتقناً بنفسجياً بضع ساعات، ولا يستعيد لونه الطبيعي إلا بعد بضعة أيام.

* * *

الفصل العاشر
التداوي بالكي

قال رسول الله ﷺ: «الشفاء في ثلاث: شربةِ عسلٍ، وشرطة محجمٍ، وكيةٍ بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»[1] وفي رواية: «وما أُحب أن أكتوي»[2].

ثبت في الصحيح: «أنَّ النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً، وكواه عليه»[3].

قال جابر بن عبد الله: «رمي سعد بن معاذ في أَكْحَلِه فحسمه رسول الله ﷺ»[4].

كان يستعمل الكي بالنار في القديم لمداواة كثيرٍ من الحالات المرضية، أما الآن فقد اقتصرت استعمالاته على حالة مرضية معينة. تختلف تأثيرات الكي بحسب نوع

---

(١) سبق تخريجه ص (٤٦).

(٢) رواه البخاري (٥٦٨٣) كتاب الطب.

(٣) رواه مسلم (٢٢٠٧) (٧٣) كتاب السلام، وأبو داود(٣٨٦٤) كتاب الطب.

(٤) رواه مسلم (٢٢٠٨) (٧٥) في كتاب السلام.

المكواة، ودرجة حرارتها، فالمكواة التي تكون بلونٍ أحمرٍ مبيض يكون فعلها سريعاً، وعميقاً، ولا تلتصق بالنسيج التي تكويها، ولا تقطع النزف، أما المكواة التي تكون بلون أحمر قاتم، ففعلها أقلُّ عمقاً، وأقلُّ سرعة، وتلتصق بالنسج التي تكويها، وتقطع النزف.

يستعمل الكي الكهربائي، أو الناري في الحالات التالية:

١ ـ فتح المجامع القيحية كالغلغمونات، والدمل، والجمرة الحميدة. وميزة الكي هنا عن الشق بآلة حادة هي أن الكي يشق المجامع ويخثر الأوعية الكائنة على مسير الشق فيسدها ويمنع نزفها، كما يمنع دخول القيح والجراثيم إلى الدورة الدموية.

٢ ـ قطع النسج، وكي النقاط النازفة أثناء العمل الجراحي بنفس الوقت عوضاً عن ربطها، وفي هذا توفير للوقت.

٣ ـ استئصال وتخريب بعض الأورام الجلدية، وبعض الأورام المثانية.

٤ ـ يستعمل الكي في حالات الآلام المعندة التي ليس لها أسباب عضوية، كالآلام النفسية، وكذلك الآلام المعندة التي لها أسباب عضوية، ولكن لا يمكن إزالة هذه الأسباب العضوية، مثل: الآلام السرطانية.

إنَّ آلية الاستفادة من الكي في حالة الآلام المعندة هي إحداث تنبيهٍ شديدٍ للجملة العصبية التي تخضع أساساً لتنبيه المرض، وفي هذه الحالة تستجيب الجملة العصبية للتنبيه الأشدِّ، وتنسى التنبيه الأضعف، أي: تستجيب لتنبيه الكي وتنسى تنبيه المرض وعندما يزول تنبيه الكي؛ قد لا يعود تنبيه المرض لنسيانه من قبل الجملة العصبية.

إنَّ حديث الكي تضمن ثلاث حالات للكي:

١ ـ الأولى فعله.

٢ ـ الثانية النهي عنه.

٣ ـ الثالثة عدم محبته له.

وهذه الحالات لا تعارض بينها، فإنَّ فعله يدل على جوازه، والنهي عنه هو نهي عن النوع الذي لا يُحْتاج إليه، بل يُفْعل خوفاً من الداء، ووقايةً منه، وعدم محبته له لا يدل على المنع تماماً، كما قال الرسول ﷺ عن الضب: «ما كان بأرض قومي فتراني أعافه»[1] فهذا لا يدل على تحريم أكل الضب.

الكي في القديم كان أكثر ما يستعمل في الحالات التالية:

---

(١) رواه البخاري (٥٣٩١) كتاب الأطعمة، ومسلم (١٩٤٦) (٤٤) كتاب الصيد.

١ ـ العروق المقطوعة، كما في الحديث: «إنَّ النبي بعث إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع له عرقاً، وكواه عليه»[١].

٢ ـ حالات الجروح وما تسببه من النزوف كما في الحديث: «رُمِي سعد بن معاذ في أكحله فحسمه رسول الله ﷺ»[٢].

٣ ـ حالات بتر الأعضاء حيث أن الكي يمنع العروق من النزف.

٤ ـ حالات الجروح المتقيحة.

النهي عن الكي الوارد في الحديث له مجالات:

١ ـ كان العرب في الجاهلية يعتقدون: أنه متى لم يُكْوَ المريض فقد هلك، ولذلك نهاهم الرسول الكريم ﷺ عن الكي إبطالاً لهذا الاعتقاد.

٢ ـ والحالة الثانية هي النهي عن الكي في الحالات التي يضر بها الكي، كالناسور في موضع خطر، وهنا الكي ليس علاجاً، ولا دواءً، وإنما قد يسبب داءً آخر غير الداء الذي أصيب به الإنسان.

---

(١) سبق تخريجه ص(٥٦).

(٢) سبق تخريجه ص(٥٦).

٣ ـ الحالة الثالثة هي الكي الوقائي، أي: حالة إنسان غير مريض، وإنما يكتوي خوفاً من حصول المرض، وهذا يسمى: كي الصحيح كي لا يعتلَّ.

فهذا النوع من الكي هو الذي قيل فيه: «لم يتوكل من اكتوى»[١] قال رسول الله ﷺ: «إن كان في شيءٍ من أدويتكم خير ففي شرطة محجم، أو شربةِ عسلٍ، أو لذعةٍ بنار توافق الداء، وما أحب أن أكتوي»[٢].

هذه الرواية تختلف عن سابقتها بوجود الجملة «توافق الداء» والضمير المستتر في كلمة «توافق» يجوز رجوعه إلى «لذعة بنار» أي أقرب عائد ويجوز رجوعه إلى «شرطة محجم، أو شربة عسل، أو لذعةٍ بنار» أي: إلى العوائد الثلاثة.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح الحديث السابق: «توافق الداء» (فيه إشارة إلى أن الكي إنما يشرع عندما يتعين طريقاً إلى إزالة الداء، وأنه لا ينبغي التجربة لذلك، ولا استعماله إلا بعد التحقق).

فالكيُّ، وكذا العسل، والحجامة ليست دواءً لكل

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٥٣).

(٢) سبق تخريجه ص(٥٦).

الأدواء، وإنما تستعمل حيث يكون مؤكداً موافقتها للداء، فالاستعمال العشوائي لهذه الأدوية ليس من الهدي النبوي في شيء.

* * *

الفصل الحادي عشر

السواك

قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1].

يطلق السواك على العود نفسه، كما يطلق على الفعل، وهو الاستياك أي: دلك الأسنان بذلك العود، وعود السواك يؤخذ من شجر الأراك الذي ينمو في الحجاز.

يستحب السواك في جميع الأوقات، إلا أن هناك أوقات يتأكد فيها السواك، وهي: عند الوضوء ـ عند الصلاة ـ عند قراءة القرآن ـ عند تغيُّر رائحة الفم ـ عند الاستيقاظ من النوم.

إذاً السواك مشروعٌ في الإسلام، وهو سنةٌ مؤكدةٌ في أوقاتٍ محددةٍ من اليوم، ولكن ما هي النظرة الطبية إلى السواك؟.

---

(١) رواه البخاري (٨٨٧) كتاب الجمعة، ومسلم (٢٥٢) (٤٢) كتاب الطهارة.

١ ـ يفيد السواك بتنظيف ما يعلق على الأسنان، وما يعلق بينها من فضلات الطعام وبقاياه، وخاصة بقايا المواد السكرية، وإزالة هذه البقايا يقي من نخر الأسنان، وتسوسها، هذه الآلية في تنظيف الأسنان هي آلية ميكانيكية، وحتى تحصل لا يكفي استخدام السواك لعدة حركات وإنما تحتاج للتنظيف لمدة لا تقل على ثلاث دقائق، كما أنَّ هناك طريقة في تنظيف الأسنان وهي الاتجاه من اللثة إلى الأسنان، والعكس ليس صحيحاً؛ لأن فعل العكس يساهم في إدخال فضلات الطعام بين اللثة وجذور الأسنان.

إنَّ بقاء بقايا الطعام، وخاصة المواد السكرية يؤدي مع الأيام إلى عفونتها، وتخمرها، وهذا يؤدي إلى التهابات اللثة، وإلى إصابة الأسنان بالنخر.

والوقاية من نخر الأسنان مسألةٌ مهمةٌ؛ لأن تنخر الأسنان هو أكثر الأمراض شيوعاً بين أمراض الأسنان.

٢ ـ يحتوي السواك على مادة الفلور، ومادة الفلور هذه مادة معقِّمة، تماماً، كما هي مادة الكلور، والمعروف: أنَّ ملح الطعام معقِّمٌ لاحتوائه على الكلور، ومادة الفلور الموجودة في عود السواك تقي الأسنان من النخر والتسوس، ومن هنا قامت الشركات بإنتاج معجون الأسنان الذي يحتوي على الفلور، ويحقق نفس الفائدة الموجودة في السواك.

وأمام الكم الهائل من معاجين الأسنان ودعاياتها أقول: لا فضل لمعجونٍ على آخر إلا باحتوائه على مادة الفلور، فكل معجون يحتوي على مادة الفلور صالح للاستعمال في تنظيف الأسنان، وبقية المعجون ما هو إلا مادة تسهل حركة السواك.

٣ ـ يحتوي السواك على زيوت عطرية، مما يكسب الفم رائحةً عطريةً مميزة لدى استخدام السواك، والحقيقة أن رائحة السواك ونكهته مقبولةٌ، وهذا يساعد على استعماله.

٤ ـ يحتوي السواك على مواد مزيلة لِلَّون الأصفر الذي يصيب الأسنان، وبالتالي فاستعمال السواك يعطي الأسنان لوناً أبيضاً ناصعاً، وهذه ناحية جمالية.

٥ ـ يحتوي السواك على مواد قابضة لِلِّثَة مما يجعل اللِّثة قوية، ويمنع حدوث النزف منها.

٦ ـ يحتوي السواك على مواد تقوي الهضم، وتدر البول.

٧ ـ استخدام السواك يدر اللعاب، ويحسن الصوت.

ملاحظات لا بد منهـــا:

١ ـ هناك فائدة حركية في استخدام السواك، وهي أنَّ استخدام السواك أسهل من استخدام المعجون والفرشاة فحجمه صغير يوضع في الجيب وهذا يمكن من استخدامه في

أيِّ وقت شاء الإنسان، وفي أيِّ مكان.

٢ ـ إن استخدام السواك الذي يحقق هذه الفوائد ليس الاستخدام لمرةٍ أو مرات، وإنما الاستخدام الطويل الأمد، وهذا واضح من التشريع النبوي الذي قال: «عند كلِّ صلاة» وفي رواية «عند كلِّ وضوء» أي: عشر مرات في اليوم على الأقل، كما أنَّ المدة شيء مهم أيضاً، أي: لمدة لا تقل عن ثلاث دقائق، والكيفية أيضاً مهمةٌ، وذلك بتنظيف سائر الأسنان، ومن كل الجهات الأمامية والخلفية، وما بين الأسنان.

٣ ـ إن السنة لا تحصل بأي عودٍ آخر غير عود الأراك، وذلك للفوائد الحاصلة من استعمال عود الأراك والغير موجودة في عيدان بقية الأشجار، فإن لم يوجد عود الأراك فالضرورات تبيح المحظورات.

٤ ـ إن المبالغة في استعمال السواك لساعاتٍ ربما أذهب طلاوة الأسنان وصقالتها، وأحدث فيها الحت والتفتت، ولذلك ينبغي استخدام السواك باعتدال.

٥ ـ عندما شرع الرسول الكريم ﷺ السواك لم يكن هناك مخابر، ولا تحليلٌ مخبريٌ، وهذا الذي نقوله الآن قائم على الدراسة والتحليل، فمن أين للرسول الكريم هذا السبق التاريخي بقرون؟ إنَّ هذا يؤكد لنا أن الرسول الكريم ﷺ كما

وصفه القرآن: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣] وأنَّ تشريع السواك ما هو إلا إعجاز طبي.

* * *

الفصل الثاني عشر
إذا شرب الكلب في إناء أحدكم

قال رسول الله ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات أولاهن بالتراب»[1].

وقال أيضاً: «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً»[2].

داء الكَلَب مرض خمجيٌّ خطيرٌ ينجم عن الإصابة بحمةٍ راشحةٍ، هي حمة الكَلَب، هذه الحمة لها إنجذاب عصبي في حال دخولها للجسم، كما أن نهاية المرض مميتةٌ في كل الأحوال.

تحصل الإصابة عند الإنسان من عضِّ الحيوان المصاب، وذلك بدخول لعابه إلى الجرح، أي: حتى يصاب الإنسان

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٢٧) ومسلم (٢٧٩) (٩١) كتاب الطهارة.

(٢) رواه البخاري (١٧٢) كتاب الوضوء، ومسلم (٢٧٩) (٩٠) كتاب الطهارة.

يجب أن يلامس لعاب الكلب وكذلك أن توجد سحجةٌ، أو جرحٌ في الجلد، وفي هذه الحالة تنجذب الحمة إلى الأعصاب، وتنتشر في كل الجملة العصبية، مؤديةً إلى التهاب دماغ مميت.

مدة الحضانة (أي: الفترة بين دخول الحمة وظهور الأعراض) تتراوح بين (١٠ ـ ٩٠) يوماً، وسطياً (٤٠ ـ ٥٠) يوماً، وتختلف هذه المدة حسب مكان الإصابة، فهي أقصر كلَّما كانت المنطقة أقرب إلى الدماغ وتطول في إصابة الأعصاب البعيدة عن الدماغ.

يمر المصاب بثلاث مراحل:

١ ـ **مرحلة انتشار الحمة**: ومدتها (٢ ـ ٣) أيام، تتصف بتغيُّرٍ نفسيٍّ في المريض، فيصبح كئيباً متشائماً، ينشد الوحدة، ويتبع ذلك حكة في منطقة الإصابة مع أعراض تنبهٍ حسيَّةٍ، أو حركيَّةٍ، والحاجة الملحة لشدة الحركة، والتجوال.

٢ ـ **مرحلة التنبه وعمى الماء**: وتتصف بظهور اهتزازات ارتعاشية ذات مظهر كزازي، مع تشنج الحنجرة، وآلام مبرحة لأقل الأصوات، وحتى لرؤية الماء، ويتبع ذلك أعراض نخاعية كالتشنج الكزازي، والضزز (هو إطباق الفكين على بعضهما بقوة).

٣ ـ **المرحلة النهائية الشللية**: حيث يموت المريض بشلل حركي مترقي.

الحيوانات الناقلة للمرض: الكلب بالدرجة الأولى ٩٢٪ من الحالات، والقطط ٦٪ من الحالات، والذئب، والحصان، والنمر، والخنزير بنسب زهيدة.

ليس كل تماس مع لعاب الكَلَب يسبب المرض، بل يجب أن يكون الكلب مصاباً بالمرض حتى يصاب الإنسان منه، وكذلك لوحظ أنه في سدس حالات العض حصلت الإصابة، وذلك لوجود حاجز يخفف من حصول الإصابات وهو الثياب عادة.

تتصف الحمة التي تسبب داء الكَلَب بالصفات التالية:

١ ـ هي حمَّات راشحة حجمها زهيد جداً وهو (١٥٠) ميلي ميكرون، أي (٠,٠٠٠١٥) ملم.

٢ ـ تحافظ الحمة على حياتها في الرطوبة بعيداً عن الضوء والهواء.

٣ ـ لا تتأثر بالأشعة السينيِّة، لكن الأشعة فوق البنفسجية تعطلها.

٤ ـ تتلف بحرارة (٥٥) درجة لمدة(٥) دقائق.

بعد هذا الملخص العلمي عن داء الكَلَب والعامل المسبب له، وهو الحمَّة الراشحة نعود إلى الحديث لنقف عند ألفاظه وإعجازاته:

١ ـ «ولغ الكلب في إناء أحدكم» ليس هناك فرق بين ولغ الكلب في الإناء وولغ الكلب من الإناء؛ إذ لهما المعنى نفسه، ومعنى ولغ: أي شرب، وبشكل أدق: أدخل لسانه في الإناء ليشرب، ومعنى ذلك سواء شرب الكلب من الإناء أم لم يشرب إذا أدخل لسانه في الإناء؛ فيجب غسل الإناء سبع مرات إحداهنَّ بالتراب لأن الخطر هو في لعاب الكلب الذي قد يسقط في الإناء، ويعلق بجدرانه مباشرة، أو من خلال الماء.

٢ ـ الغسل سبع مرات هو مبالغةٌ في التطهير والتعقيم؛ حيث أن للغسل بالماء هنا دور ميكانيكي في جرف وإزالة لعاب الكلب الذي أصاب الإناء.

٣ ـ الغسل بالتراب هو مرةٌ واحدةٌ أيّاً كانت هذه الواحدة وليس بالتحديد الأولى أو الثانية أو . . . إذ أن الرواية التي أوردناها تقول «أولاهن بالتراب» وهناك رواية تقول: «السابعة بالتراب»[١] ورواية تقول: «أولاهن بالتراب»[٢] ورواية تقول «والثامنة عفره بالتراب»[٣].

٤ ـ عدد المرات سبعة على سبيل الكثرة، وليس الحصر

---

(١) رواه أبو داود (٧٣) كتاب الطهارة.
(٢) رواه مسلم (٢٧٩) (٩١) وأبو داود (٧١).
(٣) رواه مسلم (٢٨٠) (٩٣) كتاب الطهارة، وأبو داود (٧٤).

لورود رواية تقول بثمانية «والثامنة عفره بالتراب».

٥ ـ بقي أخيراً أن نقول: لماذا التراب؟...

إنَّ الحمة المسببة للمرض متناهية في الصغر، وكلما قلَّ حجم الحمة ازداد خطرها؛ لازدياد إمكانية تعلقها بجدار الإناء، والتصاقها به، والغسل بالتراب أقوى من الغسل بالماء؛ لأنَّ التراب يسحب اللعاب ويسحب الفيروسات الموجودة فيه بقوةٍ أكثر من إمرار الماء، أو اليد على جدار الإناء، وذلك بسبب الفرق في الضغط الحلولي بين السائل (لعاب الكلب) وبين التراب، وكمثال على هذه الحقيقة الفيزيائية إمرار الطباشير على نقطة حبر فلعاب الكلب يقابل الحبر والتراب يقابل الطباشير، وهناك مثال أكثر وضوحاً وهو ورق النشاف ونقطة الحبر، فعندما تقع نقطة حبر على الدفتر، ونحاول إزالتها؛ فإن وضع ورق النشاف يؤدي إلى شفط نقطة الحبر، وهذه هي ظاهرة الفرق في الضغط الحلولي بين السائل والتراب.

* * *

الفصل الثالث عشر
القضاء على البلهارسيا

عن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ: «نهى أن يبال في الماء الراكد»(١).

أولاً ـ داء البلهارسيا: داءٌ واسعُ الانتشار في كثيرٍ من أنحاء العالم، ويقدر عدد الإصابات في العالم حوالي (١٥٠) مليون إصابة. سمي داء مُنْشَقَّات الجسم بالبلهارسيا نسبة إلى تيودور بلهارس؛ الذي اكتشف العامل المسبب لهذا الداء عام ١٨٥١. وقد عرف قدماء المصريين هذا الداء؛ إذ أن هناك صوراً في المعابد المصرية القديمة تبين سباحي النيل وقد لبسوا كماً واقياً لقضبيهم اعتقاداً منهم أنَّ ذلك يقي من الإصابة بالبلهارسيا، كما وجدت بيوض البلهارسيا في مومياء قدماء المصريين التي تعود إلى عام (١٢٠٠) قبل الميلاد.

أكثر المناطق العربية إصابة بهذا الداء: مصر، والسودان، كما يوجد في العراق، والسعودية، كما يوجد في الشمال

---

(١) رواه مسلم (٢٨١) (٩٤) كتاب الطهارة.

الشرقي من سورية في منطقة تل أبيض، ويعود وجوده في سورية إلى الحرب العالمية الثانية، وقد نقله إلى سورية الجنود الهنود في الجيش الإنكليزي، واستوطن المرض منذ ذلك الحين في هذه المناطق من سورية، ولم يتم القضاء عليه حتى الآن.

ثانياً - العامل المسبب للمرض: هو منشقات الجسم الدموية في ٩٥٪ من الحالات، ومنشقات الجسم اليابانية في بقية الحالات. ومنشقات الجسم نوع من الديدان الطفيلية.

ثالثاً - دورة حياة الطفيلي: يقذف المريض مع بوله بيوض البلهارسيا إلى المياه الراكدة، حيث تفقس البيوض ويخرج منها الديدان الأجنة التي تدخل من خلال جلد الإنسان الذي يمشي حافياً في هذا الماء الراكد، وبعد دخول الجلد تتجه إلى الدوران الوريدي البابي والمساريقي، وهناك تكتهل الأجنة، وتسير إلى الضفائر الوريدية المثانية، والإناث منها تضع بيوضها في جدار المثانة قريباً من سطح المثانة.

رابعاً - الأعراض السريرية للمرض هي:

١ - الحكة مكان دخول الطفيلي.

٢ - الصداع، والتوعك، والعرواء، والحمى في مرحلة البيض عند الطفيلي.

٣ - البيلة الدموية الانتهائية.

٤ ـ أعراض التهاب المثانة، مثل: الحرقة البولية، وتعدد البيلات.

٥ ـ الآلام الكلوية في مرحلة متقدمة بسبب استسقاء الكلية.

٦ ـ في المراحل الأخيرة: الدنف، والوهن، وفقر الدم، نتيجة النزف المزمن، والقصور الكلوي، والإنتان البولي.

خامساً ـ أما اختلاطات المرض فهي:

١ ـ تليف وانكماش المثانة.

٢ ـ حصيات المثانة.

٣ ـ السرطان الشائك الخلايا في المثانة.

٤ ـ القصور الكلوي.

٥ ـ النواسير البولية العجانية والخثلية.

٦ ـ الإنتان البولي الثانوي.

سادساً ـ المعالجة: يوجد نوعان من الأدوية: مركبات الإثمد، ومركبات اللوكانتون. كما تعالج الاختلاطات كلٌّ حسب نوعه، ومعظمها يحتاج لأعمال جراحية كتصنيع المثانة، واستئصال الحصيات، وربط النواسير، واستئصال السرطان الشائك الخلايا في حال حدوثة.

من هذا التلخيص السريع لداء البلهارسيا نلاحظ: أنه مرضٌ خطيرٌ، ومدمرٌ للجهاز البولي، وأنَّ العلاجات فيه غير ناجحة تماماً، وأن اختلاطاته خطيرةٌ جداً، وفيها تدميرٌ

للجهاز البولي ابتداء من الكليتين وانتهاءً بالمثانة.

إن العلاج الحقيقي لوباء البلهارسيا هو: القضاء على هذا الداء، واستئصاله من المجتمع، وبالتالي الوقاية من حدوثه، وهذا الحل لا يقارن بالحل الآخر، وهو معالجة المريض بعد إصابته بالمرض.

من ملاحظة دورة حياة الطفيلي نستنتج أنه لكي يستكمل الطفيلي دورته يحتاج إلى:

١ ـ المريض الذي يقذف البيوض في مجاري المياه مع بوله.

٢ ـ المجامع المائية العذبة الراكدة التي توفر المناخ الملائم لنمو الطفيلي.

٣ ـ الإنسان الذي يستحم أو يمشي في هذه المجامع المائية.

ولذلك فإن القضاء على البلهارسيا يقوم على أحد الأسس التالية:

١ ـ حذف الماء الراكد.

٢ ـ منع الناس من التبول في الماء الراكد.

٣ ـ منع الناس من المشي حفاةً في الماء الراكد.

وهنا تبدو عظمة الرسول الكريم ﷺ عندما نهى عن البول في الماء الراكد؛ لأنَّ عدم التبول في الماء الراكد يعني استئصال هذا المرض المستوطن، والقضاء عليه قضاءً تاماً.

إنَّ هذا الإجراء سهلٌ وغير مكلفٍ إطلاقاً، وإن مجتمعاً

يوجد فيه هذا الداء، أي: داء البلهارسيا لو أنه التزم بهذا التشريع الإسلامي، أي: عدم التبول في الماء الراكد لقضى على البلهارسيا بدلاً من إضاعة المال في علاجات المرض، وإضاعة الإنسان في متاهات المرض، حيث يشكل له علة دائمة لا يستطيع الخلاص منها.

* * *

لماذا أمر الإسلام بالختان؟

قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة واختتن بالقدوم»[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] الكلمات: هي أوامر، ونواهي، وقيل في تفسيرها: إنها مناسك الحج، وقيل: هي سنن الفطرة، ومنها الخِتان.

ما هو الختان؟

من المعلوم: أنَّ الجزء الأمامي من القضيب يسمى الحَشَفَة، وعند الولادة يكون هذا الجزء مغطى بقطعة جلدية تسمى القُلْفَة، والختان هو: قطع القلفة.

---

(١) رواه البخاري (٥٨٩١) كتاب اللباس، ومسلم (٢٥٧) (٥٠) كتاب الطهارة.

(٢) رواه البخاري (٣٣٥٩) كتاب الأنبياء، ومسلم (٢٣٧٠) (١٥١) كتاب الفضائل.

يرى جمهور الفقهاء من خلال الأحاديث السابقة وغيرها من الأحاديث الواردة في الختان: أن الختان واجبٌ على كلِّ مسلمٍ، ومسؤولية ذلك تقع على الأبوين بختان الطفل وهو صغير، وتقع هذه المسؤولية على المسلم نفسه إذا كان كبيراً.

نحاول في هذا الفصل ومن خلال العلم الإجابة على السؤال الذي هو عنوان الفصل: لماذا أمر الإسلام بالختان؟

طبعاً المقصود من السؤال: ما هي الحكمة، وما هي الفوائد التي جعلت الإسلام يشرع الختان؟..

١ ـ إن الاستبراء من البول هو جزءٌ وركنٌ من أركان الطهارة المطلوبة للصلاة، وهذا التنزه أو الاستبراء من البول لا يحصل بشكل كامل إلا إذا كان الإنسان مختوناً؛ لأن القلفة قطرها صغير، وبالتالي فهي تضغط قليلاً على مقدمة القضيب، مما يجعل خروج البول ليس تاماً، وليس سهلاً مقارنةً مع آخر أزال هذه القلفة.

٢ ـ هناك سبب جنسي متعلق باللذة الجنسية عند الذكر، من المعروف أن ٩٠٪ من الإحساسات الجنسية عند الرجل توجد في الحشفة، أي: مقدمة القضيب، واللذة الجنسية تحصل من احتكاك الحشفة بجدران المهبل، ولما كانت القلفة تغطي الحشفة بشكل كامل في حال عدم الانتصاب، وبشكلٍ جزئيٍّ في حال الانتصاب؛ فإن القلفة تشكل حاجزاً

يعيق الجماع من جهة، وينقص اللذة الجنسية من جهة أخرى.

إنَّ هـذا السبـب العلمـي، أي: إعـاقـة القلفـة للجمـاع، وإنقاصها للذة الجنسية دفع بعض غير المختونين إلى الختان إنطلاقاً منه، وليس انطلاقاً من أمرٍ ديني.

٣ ـ وهناك سبب ثالث، وهو النظافة من الأوساخ، والقضاء على الالتهابات، أو الوقاية منها، وذلك أنَّ القلفة مع الحشفة تشكل طيَّـةً جلديَّةً تحيط بالقضيب، ولما كانت عملية التبول عملية متكررة، وتجري عدَّة مراتٍ في اليوم؛ فإن عملية تنظيف المكان عملية شاقة، وغير متيسرة، وهذا ما يؤدي إلى تجمع بقايا البول في المكان، وهذا يؤدي إلى الرائحة الكريهة من جهة، وإلى إصابة المنطقة بالالتهابات من جهة ثانية، هذا الأمر واضحٌ جداً، ويعرفه الكثيرون عند الأطفال الصغار غير المختونين، أو المختونين ختاناً ناقصاً، حيث يحصل التهاب مزمن في المنطقة، ويدور الطفل في حلقةٍ معيبة: فعدم الختان يؤدي للالتهاب، والالتهاب يزمن، ويستمر بعدم الختان.

٤ ـ إنَّ عدم الختان يعتبر من العوامل المؤهبة لأورام القضيب، حيث إنَّ أورام القضيب تنمو على الحشفة، أو القلفة، وآلية ذلك: أن عدم الختان يؤهب لالتهابات القلفة

والحشفة، وهذه الالتهابات تؤهب للأورام، وهذا يعلل كثرة مشاهدة هذه الأورام في الصين، وأفريقيا، وجنوب شرق آسيا، حيث تشكل ١٠٪ من الأورام عامة، وقلة مشاهدتها في البلاد التي يجري فيها الختان بشكل روتيني. فالأغلبية الساحقة من أورام القضيب تشاهد في الطوائف الدينية التي لا تختتن، بينما هي نادرة في الطوائف الدينية التي تجري الختان، كالمسلمين، والموسويِّين، ولذلك فإن الوقاية من أورام القضيب تكون بإجراء الختان، والنظافة الموضعية، ومكافحة التهابات القلفة، والحشفة.

إن مصير أورام القضيب سيىءٌ للغاية؛ إذ أنها تعالج ببتر مقدمة القضيب وفي ذلك تدميرٌ نفسيٌّ لهذا الإنسان بفقدانه للذة الجنسية.

٥ ـ لوحظ وبشكلٍ مؤكَّدٍ ارتفاع نسبة سرطانات عنق الرحم عند نساء غير المختونين مقارنة بنساء المختونين، وبذلك يعتبر عدم الختان من العوامل المؤهبة لإصابة زوجة غير المختون بسرطانات عنق الرحم، وآلية ذلك هو الالتهابات الموضعية في عنق الرحم المنتقلة من التهابات الحشفة، والقلفة عند الرجل، حيث إنَّ الالتهابات الموضعية تؤهب بدورها للسرطان.

٦ ـ من الآفات الخلقية عند الذكور ضيق القلفة، أي:

تضيق الفوهة الأمامية للقلفة تضيقاً شديداً، وهذا المرض له شكلان فإذا كانت وضعية القلفة أمامية بالنسبة للحشفة أدى إلى استحالة إرجاع القلفة إلى الخلف وبالتالي التهاب مزمن في القلفة، والحشفة، أما إذا أرجعت القلفة للخلف، فإنَّ الذي يحصل هو ركودة وريدية في الحشفة، ومنه استحالة إرجاع القلفة إلى الأمام، وهذا الشكل أخطر من السابق؛ لأنه يؤدي إلى موات الحشفة، وبالتالي بتر الحشفة بسبب تموتها، إنَّ علاج ضيق القلفة بشكليه هو الختان، وما لم يجر الختان فالنتيجة سيئةٌ جدّاً.

* * *

الفصل الخامس عشر
إذا وقع الذباب في إناء أحدكم

قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه، فإنَّ في أحد جناحيه داء، وفي الآخر شفاء»(١).

معنى أمقلوه: اغمسوه.

إنَّ توجيه الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث واضحٌ وصريحٌ، وهو أنَّ الذباب يحمل الداء، ويحمل الدواء لنفس الداء، وأنَّ وقوع الذباب في الإناء يؤدي إلى انتقال الداء منه إلى محتوى الإناء، وأنَّ غمس الذباب في الإناء يؤدي إلى انتقال دواء الداء من الذباب إلى محتوى الإناء، إذاً المقصود بالحديث هو أنَّ الذباب يحمل الداء، ويحمل دواء الداء معاً في نفس الوقت، وليس المقصود حرفياً: داخل الجناح الداء، وداخل الجناح الآخر الدواء، فالأمر ليس بهذه الحرفية.

وقبل الدخول في معنى الحديث من الناحية العلمية أقول:

---

(١) رواه البخاري (٥٧٨٢) كتاب الطب، وأبو داود (٣٨٤٤) كتاب الأطعمة.

إن هناك مسألة نفسية، وهو أن كثيراً من الناس إذا وقع الذباب في إنائهم يفضلون إراقة محتوى الإناء بدافع من القرف من محتوى الإناء بعد وقوع الذباب فيه، وأقول: للإنسان أن يريق محتوى الإناء بعد وقوع الذباب فيه لا أن يغمسه، ولكن الأمر أكبر من ذلك.

فإذا كان محتوى الإناء زهيداً قد يريقه الإنسان، ويتخلى عنه، ولكن ماذا لو كان الإناء برميلاً من الزيت، ووقع فيه الذباب، فهل يريقه الإنسان، ويخسر مئات الليرات؟

أظن أنَّه لن يفعل ذلك، وسيبحث عن حلٍّ، وها نحن نجد الحل في كلام رسول الله ﷺ.

من الناحية العلمية: إذا تعلَّق بجسم الذباب أيُّ نوع من الجراثيم، أو الحمات الراشحة فإنَّ جسم الذباب سيكوِّنُ لهذه الجراثيم ولهذه الحمات الراشحة أضداداً، أي: إنَّ الجرثوم يكوِّن مولداً للضدِّ، وجسم الذباب يولد أضداداً لهذه الجراثيم إذاً يحمل الذباب مولِّدات الضد وأضدادها معاً، وبعبارة أخرى: يحمل الداء، ويحمل شفاءه معاً.

أجرى أحد العلماء التجربة التالية:

أحضر إناءً فيه ماءٌ، وأدواتٍ معقمة، وقام بإلقاء الذباب في الماء، ثم أخذ عيِّنات من الماء بعد الإلقاء وجعلها في

مزارع للجراثيم، والمزرعة تحتوي على مواد تساعد الجرثوم على الحياة والتكاثر إذا كان موجوداً في العينات، ثم قام بغمس الذباب مرةً واحدةً، وأخذ عينات بعد الغمس مرةً واحدةً، وجعلها في مزارع للجراثيم، ثم قام بغمس الذباب مرتين، وأخذ عينات بعد الغمس مرتين، وجعلها في مزارع للجراثيم، ثم قام بغمس الذباب مرةً ثالثةً، وأكمل العمل، فماذا كانت النتيجة؟.

العينات المأخوذة قبل الغمس نمت فيها مزارع الجراثيم بشكلٍ واضحٍ، والعيِّنات المأخوذة بعد الغمس مرة واحدة كان نمو المستعمرات أقل، وبعد الغمس مرة ثانية أقل، وهكذا يقل نمو المستعمرات، كلما تكرر الغمس حتى ينعدم.

هكذا إذاً يحمل الذباب الداء ويحمل أيضاً الشفاء، والداء يحصل من وقوع الذباب في الإناء، والشفاء يحصل من غمس الذباب في الإناء.

إنَّ هذه الفكرة هي القاعدة التي يقوم عليها إعطاء اللقاحات للإنسان للوقاية من الأمراض، حيث إنَّ اللقاح يعطي مناعة ضد المرض، فمن أين تأتي المناعة؟ وما هو اللقاح؟..

إنَّ دخول الجراثيم الحيَّة إلى جسم الإنسان قد تسبب له المرض، وذلك لأن قوة الجراثيم أكبر من قوة البدن على

مقاومتها، ولكن إدخال هذه الجراثيم بعد إضعافها، أو بعد إماتتها إلى الجسم يجعل الجسم أقدر على مقاومتها، وتشكيل أجسامٍ مضادَّةٍ لها، ولذلك إذا دخلت الجراثيم فيما بعد ولو كانت بقوتها العادية، فإنَّ الجسم لا يصاب بالمرض؛ لأنه كوَّن الدواء لهذا الداء.

إنَّ الذي يقوم بهذا الفعل، أي: تكوين أجسامٍ مضادّة للداء هو الجهاز المناعي في جسم الإنسان.

ومع ذلك فقد أثبت العلم الحديث: أن الذباب المسمى ذباب الذراريح يحمل في أحد جناحيه سماً، وفي الجناح الآخر شفاء.

فانظر إلى الإعجاز الطبي في كلام الرسول الكريم ﷺ كيف يعلمنا شيئاً لا نستطيع الوصول إليه، وفهم حقيقته إلا بعد أربعة عشر قرناً، وإلا بعد اكتشاف المجاهر، واكتشاف الجراثيم، والحمات الراشحة، تلك الأحياء التي لا ترى بالعين، وإلا بعد اكتشاف العلاجات لهذه الجراثيم، والجهاز المناعي في جسم الإنسان.

فهل بعد هذا الإعجاز من إعجاز؟! وإذا لم يكن هذا هو الإعجاز، فما هو الإعجاز؟!

* * *

الفصل السادس عشر

الطبُّ الوقائي في الشراب

١ ـ قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء»[١].

هذه واحدة من تعاليم الرسول الكريم ﷺ في آداب الشراب، وهي: عدم التنفس في الإناء، وعدم النفخ في الإناء أثناء الشرب منه، ومن المعلوم: أنَّ ذلك مما يثير الاشمئزاز عند الإنسان الآخر الذي يريد أن يشرب من نفس الإناء، وهذا أدب نفسيٌّ في الشراب.

ولكن هناك أدب صحيٌّ أيضاً، وهو: أنَّ الشارب قد يكون مريضاً بأحد الأمراض التنفسية، أو حاملاً لها، وفي هذه الحالة تنتقل الجراثيم من نَفَس الشارب إلى الماء، ومن الماء إلى الشارب الثاني، أي: إلى أمعائه، وبالتالي إما أن يصاب بالمرض، وإما أن يصبح حاملاً للمرض، والماء هنا

---

(١) رواه البخاري (٥٦٣٠) كتاب الأشربة، وأحمد (٤/ ٣٨٣) والترمذي (١٨٨٩) كتاب الأشربة.

هو الواسطة في نقل المرض، وكمثال على ذلك مرض السل، فالجرثوم الذي يسبب مرض السلِّ إذا دخل إلى رئتي المريض عن طريق التنفس أصابه السلُّ الرئوي، وإذا انتقل إلى فم المريض، ومنه إلى أمعائه أصابه السلُّ المعوي، وهكذا نجد: أنَّ عدم التنفس في الإناء، وعدم النفخ فيه هو من العوامل الوقائية من الإصابة بالأمراض فما أعظمه من تشريع!

فإن قيل: فماذا تصنعون بما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: «أنَّ رسول الله ﷺ كان يتنفس في الإناء ثلاثاً»[1].

نقول نقابله بالقبول والتسليم ولا معارضة بينه وبين الحديث الأول، وإنَّ معناه: أنه كان يتنفس في شربه ثلاثاً، وذكر الإناء لأنه آلة الشرب، وهذا كما جاء في الحديث الصحيح: «أنَّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ مات في الثدي»[2] أي: في مدة الرضاع.

٢ ـ جاء في الصحيح: «أنَّ رسول الله ﷺ نهى عن الشرب من في السقاء»[3].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٣١) كتاب الأشربة، ومسلم (٢٠٢٨) (١٢٢) كتاب الأشربة.

(٢) رواه مسلم (٢٣١٦) (٦٣) كتاب الفضائل.

(٣) رواه البخاري (٥٦٢٨) كتاب الأشربة.

وهذا الحديث له أدبه العادي إضافة إلى أدبه العلمي، فالأدب العادي هو: أنه ربما كان في الإناء حيوان لا يشعر به الشارب، فيؤذيه، وربما كان فيه قذاة لا يراها عند الشرب، فتدخل إلى الجوف.

والأدب الطبي هو: أن فم السقاء تنتقل إليه الجراثيم من لعاب الشارب، والأطعمة الموجودة في فمه، وهكذا تنتقل إلى كل من يشرب بعده من فم السقاء، وكذلك تنتقل هذه الجراثيم من فم السقاء إلى الماء الموجود فيه، وهكذا يتجرثم الماء، وتنمو فيه المستعمرات الجرثومية، ومن المعلوم: أنَّ الرطوبة هي الوسط المناسب لنمو الجراثيم، وأنَّ البرودة تحفظ الجراثيم بشكل عام، وهذا بعكس السخونة، والجفاف اللذين يشكلان وسطاً مناسباً لقتل الجراثيم، فهل علمت الآن لماذا نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم السقاء؟ فإن قيل: فماذا تصنعون بما جاء في جامع الترمذي: «أنَّ رسول الله ﷺ دعا بإداوةٍ يوم أُحُدٍ فقال: اخنث فم الإداوة ثم شرب من فيها»[١].

نقول: نكتفي فيه بقول الترمذي: (هذا حديث ليس إسناده صحيح).

---

(١) أبو داود (٣٧٢١) كتاب الأشربة، والترمذي (١٨٩٠) كتاب الأشربة.

٣ ـ جاء في سنن أبي داود: «نهى رسول الله ﷺ عن الشرب في ثلمة القدح، وأن ينفخ في الشراب»[١].

وثلمة القدح هي غير فم القدح؛ لأن فم القدح يخصص عادة للشرب، في حين ثلمة القدح هي أن القدح أصيب بثلم بسبب من وقوعه، أو كسره، أو غير ذلك.

إن ثلمة القدح يقال فيها أكثر مما يقال في فم القدح، وذلك أنَّ سطحها ليس ناعماً بل خشن وشئز، وهذا ما يجعله مكاناً أفضل لتجمع الفضلات والجراثيم، ونموها فيه، هذا ناهيك عن أن تنظيف ثلمة القدح أصعب من تنظيف فم القدح.

هذا أدب طبي، ولكن هناك آداب أخرى للنهي عن الشرب في ثلمة القدح، وهي أنه ربما شوش على الشارب، وربما سبب له جرح الفم، وأنه المكان الذي لا يصل إليه الغسل، كما يصل إلى الجانب الصحيح.

وأما النفخ في الشراب فيقال فيه أكثر مما يقال في التنفس في الشراب: فهو عملٌ من نوع التنفس في الشراب، ولكنه أكبر في الكم، فإذا كان التنفس ينقل الجراثيم، فالنفخ ينقلها بشكل أكبر، ومع ذلك فهناك عاداتٌ اجتماعيةٌ يمارسها كثيرٌ

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٢٢) كتاب الأشربة، وأحمد (٣/ ٨٠).

من الناس، وهي أنَّ الشراب إذا كان ساخناً لا ينتظر الشارب حتى يبرد محتوى الإناء من الشراب، إنما يسعى لتبريده بالنفخ، هذه عادة سيئة، والأولى ترك الإناء حتى يبرد، وتصبح سخونته مناسبة للشارب. وهناك شكل خطر من النفخ في الإناء، وهو الذي تمارسه الأمهات لتبريد الطعام للأطفال الصغار، فتظن أنها تفعل خيراً في حين أنَّ فعلها شرٌّ وخطرٌ، ووجه الخطورة: أنَّ جسم الصغار أقل قدرة على مقاومة الجراثيم من أجسام الكبار، فقد يحمل الكبير الجرثوم، ولا يسبب له المرض لقوة جسمه، ولكن إذا انتقل هذا الجرثوم إلى الصغير، فإنه يسبب له المرض؛ لأن جسمه أضعف.

* * *

الفصل السابع عشر

الطب الوقائي في الوضوء

ـ غسل اليدين (الكفين):

قال أوس بن حجر الثقفي رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاستوكف ثلاثاً»[1] استوكف: غسل يديه. وقال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء»[2].

إنَّ اليدين هي أكثر أجزاء الجسم نقلاً للأمراض، وبمعنى آخر: إن أكثر الأمراض تنتقل عن طريق اليدين مقارنة مع بقية أجزاء الجسم، والسبب هو أنَّ اليدين هي أكثر الأجزاء استعمالاً في الحياة اليومية سواء للجسم أم لغير الجسم، والأكثر خطورةً في اليدين هي الأظافر، وبالتحديد ما تحت الأظافر، ولذلك كان من السنن المؤكدة تقليم الأظافر، ولذلك أيضاً يشدد الأطباء على غسل الأيدي كوسيلة في

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٩) والنسائي في الكبرى (٨٧) كتاب الطهارة.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٤١) ومسلم (٢٧٨) (٨٧) كتاب الطهارة.

الوقاية من نقل الجراثيم، سواء إلى الإنسان نفسه صاحب اليدين، أم إلى غيره من الناس.

وفي حالات خاصة لا يكفي غسل اليدين، بل لا بد من تطهيرهما بالمواد الكيمياوية، أما في غرف العمليات فيجب لبس القفازات المعقمة، ولذلك كان هديه ﷺ غسل اليدين خمس مرات في اليوم إضافة إلى غسلهما عند الاستيقاظ من النوم، ولهذا الهدي النبوي هدفان (الأول): هو النظافة (والثاني): هو الوقاية من الأمراض بتطهير الأعضاء الأكثر مساهمةً في نقل الأمراض.

٢ ـ المضمضة ـ الاستنشاق والاستنثار:

قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأت فمضمض»(١).

وقال أيضاً: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ماءً، ثمَّ ليستنثر»(٢).

المضمضة: إدارة الفم وتحريكه بالماء.

الاستنشاق: إدخال الماء إلى الأنف.

الاستنثار: إخراج الماء من الأنف بالنفس.

---

(١) رواه أبو داود (١٤٤) كتاب الطهارة.

(٢) رواه البخاري تعليقاً (٤/ ١٥٩) كتاب الصوم، ومسلم (٢٣٧) (٢١) كتاب الطهارة.

الفم هو المدخل الأساسي للأمراض المنتقلة بالطعام والشراب، مثل: الحمى التيفية، والحمَّى المالطية، وداء حيات البطن، والزحار العصوي، والزحار المتحولي، وشلل الأطفال، والكوليرا، إضافة إلى أنَّه توجد في الأحوال العادية العديد من الجراثيم المسالمة وغير الممرضة في الفم، وهذه تتحول إلى ممرضة، وتؤدي للمرض إذا أصيب الجسم بحالة من الضعف، وإضافةً إلى وجود بقايا الأطعمة في الفم بعد الطعام والتي تشكل وسطاً مناسباً للعفونة، ونمو الجراثيم.

والفم هو المدخل الأساسي للأمراض المنتقلة بالهواء، مثل: الجدري، والحصبة، والحُمَاق، والحصبة الألمانية، والزكام (الرشح) والنزلة الوافدة (الانفلونزا) والخانوق (الدفتريا) والسلِّ الرئوي، والشاهوق (السعال الديكي)، والتهاب الرئة، والتهاب السحايا، إضافة إلى أنه توجد فيه بعض الجراثيم غير الممرضة في الأحوال الطبيعية، كالمكورات العنقودية، والتي تتحول إلى ممرضة إذا أصيب الجسم بضعف ما، كنقص المقاومة المناعية، وإضافة إلى كونه مصفاة تصفي الهواء الداخل إلى الجسم من الأغبرة، والأوساخ، وما يحتويه من العوامل المؤذية.

بعد هذا الكلام عن الفم والأنف من الناحية المرضية نستطيع أن ندرك عظمة التشريع النبوي حين أمر بالمضمضة،

والاستنشاق، والاستنثار خمس مرات في اليوم الواحد، فهو تشريعٌ يحقق هدفين: يساهم في النظافة الشخصية من جهة، كما يساهم في الوقاية من عدد كبير من الأمراض من جهةٍ أخرى.

٣ ـ تخليل الأصابع:

قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك»[١].

تخليل الأصابع هو: غسل الثنيات ما بين الأصابع، والثنيات ما بين الأصابع تأتي بالدرجة الثانية من الأهمية بعد الثنيات ما تحت الأظافر في كونها مكاناً ملائماً لتجمع الأوساخ، ونمو الجراثيم عليها، ومن هنا أهمية غسلها عدة مرات في اليوم، كما هو الهدي النبوي في الوضوء، ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى الثنيات بين الأقدام؛ التي إذا اجتمع فيها الأوساخ، والعرق الناتج عن حركة الإنسان وقيامه بالجهد أصبحت هدفاً ملائماً للإصابة بداء فطريٍّ معروفٍ ومشهورٍ يسمى: المبيضات البيض.

وكثيرون هم الذين يصابون «بالسماط» في هذه الأماكن، ومن المعروف: أنَّ العلاج الدوائي يساعد على الشفاء، ولا يتمه، وأنَّ الشفاء لا يتم إلا بغسل هذه الأماكن، وتهويتها

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٣) والترمذي (٣٩) أبواب الطهارة.

لمراتٍ كثيرةٍ، هذا أمر يعرفه الكثير من الناس، ومن التجربة، ومن النادر ألا يصاب به المرء لمرةٍ واحدةٍ في حياته.

٤ ـ مسح الأذنين:

جاء في سنن أبي داود: «أنَّ رسول الله ﷺ مسح في وضوئه رأسه وأذنيه باطنهما وظاهرهما، وأدخل أصبعيه في صماخي أذنيه»[(١)].

كما جاء في مسند الإمام أحمد في وصف وضوء رسول الله ﷺ «ومسح برأسه وأذنيه مرةً واحدةً»[(٢)].

السنة في الوضوء: مسح باطن الأذنين بالسبابتين، وظاهرهما بالإبهامين، وبنفس ماء الرأس، ولكن لماذا كانت السنة مسح الأذنين وليس غسلهما؟.

إن الوجود المتكرر للماء داخل الأذنين يعتبر من العوامل المؤهبة للإصابة بالتهاب الأذن الظاهرة، وهذا ما يلاحظ لدى الأطفال الذين يقومون بالسباحة المتكررة، ولا يستطيعون منع دخول الماء إلى آذانهم، ومن هنا يعتبر غسل الأذنين بالماء من العوامل المؤهبة لالتهابات الأذن الظاهرة، في حين أنَّ مسحهما بالماء يساهم في نظافة

---

(١) رواه أبو داود (١٣٥) كتاب الطهارة.
(٢) رواه أحمد (١/ ٨٢).

الأذنين، كما يساهم في إزالة الجراثيم والوقاية من الأمراض التي تصيب الأذن بدخول الجراثيم.

٥ ـ قال رسول الله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء»[١].

وقد تكلمت عن السواك بشكل عام في فصل كامل من هذا الكتاب، ودوره في الوقاية من أمراض الأسنان، وأمراض اللثة، وهنا أؤكد على دوره في الوقاية من الأمراض الهضمية، وذلك بإزالة بقايا الأطعمة ليس من الفم فحسب، فهذا دور المضمضة، وإنما إزالة هذه البقايا من الثنيات بين اللثة والأسنان، ومن الثنيات بين الأسنان نفسها، ومن الحفر التي تكون موجودة في الأسنان، وإزالة البقايا الطعامية يقطع السبيل على تخمر هذه المواد، ونمو الجراثيم، والعفونة التي قد تصيب الفم، ودور ذلك في الوقاية من الأمراض.

٦ ـ تثليث الغسل:

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أنَّ النبي ﷺ توضأ ثلاثاً ثلاثاً»[٢].

---

(١) رواه الشافعي في مسنده (١/ ٣٠) ومالك في الموطأ (١/ ٦٦) كتاب الطهارة.

(٢) رواه أحمد (١/ ٥٧) ومسلم (٢٣٠) (٩) كتاب الطهارة.

وتثليث الغسل هو غسل الجزء من الجسم ثلاث مرات، وليس مرةً واحدةً، كغسل اليدين ثلاث مرات، والمضمضة ثلاث مرات. . . وهكذا، وهو السنة التي جرى عليها العمل غالباً، والتثليث وإن كان عملاً عبادياً، فإنَّ له مدلوله الطبي في النظافة الشخصية، وفي المبالغة في الوقاية من الأمراض التي قد تصيب الجسم.

هـذه السنـن التـي تكلمنـا عنهـا، والمتعلقـة جميعهـا بالوضوء، تؤكد لنا عظمة التشريع النبويِّ والطبِّ النبوي في الوقاية من الأمراض، فقد شملت كل المداخل التي قد يسلكها الجرثوم في طريقه إلى البدن، فقد شملت الفم بـالمضمضـة والسـواك، والأنـف بـالاستنشـاق والاستنثـار، واليدين بالغسل، وأصابع اليدين بالتخليل، وكذا أصابع القدمين والأذنين بالمسح، فهل بقي مدخل للجراثيم إلى جسم الإنسان لم يشمله هذا التشريع النبوي بالتنظيف. نحن لا نتكلم عن كل فوائد وحكم الوضوء، فهذا أمر كبير، وتعدادها وشرحها قد يحتاج إلى كتاب، ولكننا تكلمنا عن واحدةٍ فقط من حكم وفوائد الوضوء وهي المتعلقة بعالم الجراثيم، والحمات الراشحة، والفطور، والوقاية من الأمراض التي قد تسببها هذه الكائنات الحية.

فتصور إنساناً يقوم بهذه الأفعال الوقائية خمس مرات في

اليوم، وفي كلٍّ مرة يكرر الفعل ثلاث مرات، إنَّ احتمال إصابته بهذه الأمراض هي ولا شك أقل بكثير من الإنسان الآخر الذي لا يفعل ذلك؛ لأن نسبة الجراثيم وأعدادها تكون قد انخفضت إلى حدها الأدنى ـ والله أعلم ـ.

* * *

الفصل الثامن عشر
قانون الطعام والشراب

قال رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلاً فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[١].

الطعام سلاحٌ ذو حدين، فإذا تناوله الإنسان بالمقدار الصحيح كان له غذاءً، ولجسمه قوةً وصلاحاً، أما إذا تناوله الإنسان بمقادير زائدة، أو بمقادير ناقصة سبب له الإيذاء في الحالتين، حالة الزيادة، وحالة النقص، فالزائد أخو الناقص كما يقولون.

وإذا كان نقص الطعام يسبب أدواء سوء التغذية، فإنَّ زيادة الطعام تسبب مرضين على غاية من الأهمية، فعلى المدى القريب يصاب الإنسان بالتخمة، وعلى المدى البعيد يصاب بالسمنة.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٣٢) والترمذي (٢٣٨٠) كتاب الزهد.

أولاً ـ التخمـــة:

يقال: إنَّ هناك أناسٌ يموتون من الجوع، وهناك أناس يموتون من التخمة. صحيح: أنَّ التخمة لا تميت، ولكنها مع ذلك مرضٌ قائمٌ بذاته ويحتاج للدراسة.

إنَّ للمعدة سعة، وهذه السعة يقسمها الحديث إلى ثلاثة أقسام: قسمٌ للطعام، وقسمٌ للشراب، وقسمٌ للتنفس، ولو شاء أحدنا استبدال ثلث الشراب بطعامٍ لكان أقصى حد يستطيع الإنسان أن يملأ به المعدة هو الثلثان. فما هي الأخطار إذا ملأ الإنسان المعدة كلها بالطعام؟.

١ ـ عندما يقول الرسول ﷺ: «وثلث لنفسه» ليس معنى ذلك أنَّ الإنسان يتنفس بمعدته، وإنما لأنَّ المعدة والرئة متجاورتان، وفي حال امتلاء المعدة التام؛ فإنَّ المعدة تدفع الحجاب الحاجز؛ الذي يدفع بدوره الرئتين مقللاً من السعة التنفسية، وبالتالي امتلاء المعدة التام يضرُّ بالتنفس؛ لأنه يحدده، وينقصه.

٢ ـ إن التخمة لا تحصل من امتلاء المعدة التام لمرةٍ واحدةٍ، وإنما من تكرار هذا الفعل، أو اتخاذه ديدناً، أي: تكرار العمل.

٣ ـ إن امتلاء المعدة التام وبشكل متكرر يؤثر على حركة

المعدة، فمن المعلوم أنَّ تقلص عضلة المعدة، وانقباضها هو الأساس في عملية الهضم، هذا التقلص ذاتيٌّ تقوم به المعدة بمعدل ٣ مرات في الدقيقة، وفي حال امتلاء المعدة التام تكف المعدة عن التقلص والانقباض، وهذا يؤدي إلى وهن المعدة، كما يؤدي إلى سوء الهضم، فالطعام الذي يدخل إلى المعدة لا يهضم، وبالتالي يمر إلى الأمعاء ومنه إلى الخارج دون الاستفادة من أكثره، أي: سوء امتصاص.

٤ ـ التخمة هي اضطراب وظيفي في جهاز الهضم يتجلى بشكل آلام تتوضع في المنطقة الشرسوفية من البطن، هذه الآلام تكون مترافقة بشعور الثقل في المعدة، وتزداد الآلام بتناول أيِّ شكل من أشكال الطعام، وقد تمتد هذه الآلام لسنين، كما تترافق بانتفاخ البطن، وبالغثيان في أغلب الأحيان، وبالإقياء في بعض الأحيان. والتخمة من الاضطرابات الوظيفية في أنبوب الهضم، والاضطرابات الوظيفية هامَّةٌ؛ لأنَّ المرضى الوظيفيين يشكلون ٦٠٪ من مجموع مرضى الهضم.

٥ ـ إنَّ أسباب التخمة هي الإفراط في تناول الطعام، سواءٌ كان هذا التناول سريعاً أم بطيئاً.

٦ ـ إنَّ علاج التخمات يكون بالحمية المشددة في البداية، ثم يتم توسيع الحمية بشكلٍ تدريجيٍّ، بعد أن اعتاد

المريض على الحمية الصارمة، ويمكن أعطاء الخمائر الهاضمة، مع معالجة الأعراض المرافقة للتخمة، كالإمساك، أو القلق، أو العزلة.

ثانياً ـ السمنة:

السمنة أو البدانة: هي زيادة وزن الجسم بتراكم الشحوم مقارنة مع الوزن المثالي، حيث إن (الوزن المثالي = الطول ـ ١٠٠).

في الحالة الطبيعية يجب أن لا يتجاوز وزن النسيج الشحمي أكثر من ٢٥٪ من وزن الجسم في الذكور، ولا أكثر من ٣٠٪ في الإناث، والسمنة قبل البلوغ تكون بزيادة الخلايا الشحمية في الجسم، أما بعد البلوغ فتكون بزيادة حجم هذه الخلايا.

١ ـ إن البدانة إذا لم تكن متسببةً عن مرض في الجسم، فهي ناتجة عن المضغ والبلع، أي: عن تناول الطعام بشكلٍ مفرطٍ، وهذا النوع من البدانات، أي: البدانات الطعامية يشكل ٩٩٪ من حالات البدانة عند الإنسان.

٢ ـ وحتى يؤدي الإفراط في الطعام إلى البدانة يجب أن يكون الجسم من النوع القادر على تمثل الأغذية، وامتصاصها، واختزانها، وإلا فإنَّ الطعام يذهب مثلما أتى.

٣ ـ هناك عوامل تساهم في حدوث السمنة، كالاستعداد الوراثي، ونقص الفعالية الفيزيائية، كما هو الحال عند

المسنين، أو عند بعض المهن التي لا تتطلب جهداً فيزيائياً.

٤ ـ الأعراض السريرية المرافقة للبدانة هي: زيادة الوزن ـ تشققات الجلد ـ ضيق النفس ـ قلة الحركة ـ سرعة التعب والوهن ـ الآلام المفصلية في الركبتين، وأسفل الظهر.

٥ ـ الأهم والأخطر في البدانة هو اختلاطاتها، فالسمنة تؤهب لمجموعة من الأمراض القلبية، كارتفاع الضغط، واسترخاء القلب، واحتشاء العضلة القلبية.

٦ ـ كما تؤهب السمنة للإصابة بمجموعة من الاضطرابات الاستقلابية كالسكري، والنقرس، وتصلب الشرايين.

٧ ـ كما تؤهب السمنة للإصابة بتنكس المفاصل، واحمرار الدم الثانوي، والعنانة.

٨ ـ تعالج البدانة بشكل أساسي بالحمية، والتمارين الرياضية، ويفيد فيها الأدوية المنقصة للشهية، والأدوية التي تزيد الاستقلاب، والأدوية التي تنقص الامتصاص المعوي.

وفي حالاتٍ نادرةٍ تحتاج للعمل الجراحي، وهو إما إزالة قسم من الشحوم المتراكمة في الجسم، وإما المفاغرات المعوية، بحيث تمر الأطعمة دون أن يستفيد منها الجسم.

* * *

الفصل التاسع عشر
كيفية شرب الماء

قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم فليمصَّ الماء مصّاً ولا يعبَّ الماء عبّاً»[1].

هذا الحديث من آداب الإسلام في الشراب فمصُّ الماء: هو شرب الماء دون إدخال الهواء مع الشراب، وعبُّ الماء هو بخلافه. فما هي الفوائد الطبية من مصِّ الماء؟

١ ـ إن أول الفوائد من مصِّ الماء هي: الوقاية من الشردقة، وهي: دخول الماء، أو بعضه إلى المجرى الهوائي. أي: القصبات بدلاً من المجرى المائي، أي: المريء.

٢ ـ ومن فوائد مصِّ الماء الوقاية من تمدد المعدة، وتوسعها، وهي حالة مشابهة للتخمة؛ لأن عبَّ الماء يعني: دخول الهواء مع الماء إلى المعدة أثناء الشرب، وهذا يؤدي إلى امتلائها، وبالتالي تمدّدها، وهذا يؤهب لوهن المعدة.

---

(١) رواه البيهقي (٧/ ٢٨٤) كتاب الصداق.

٣ ـ إنَّ مصَّ الماء إذ يقي من الشردقة فإنما يقي من تخريش الحنجرة، والرغامى، وذلك أنَّ الماء قد يحمل شيئاً من بقايا الطعام الموجود في الفم إلى الرغامى والقصبات، وقد يسبب ذات رئة استنشاقية، أي: التهاب الرئة بالمواد الطعامية المحمولة مع الماء.

٤ ـ إن مصَّ الماء يمكِّن الشارب من تذوُّق الماء، والشعور بطعمته، وهذا من قبيل الأهنأ.

٥ ـ إن مصَّ الماء أشدُّ رِيّاً، وأبرأ من شدة العطش، وذلك لدخوله على المعدة الملتهبة على دفعات، فتسكِّن الدفعة الثانية ما عجزت عنه الأولى، وهكذا.

٦ ـ إن مصَّ الماء يعني الدخول التدريجي للماء على المعدة، وهذا أسلم صحياً، وذلك لأنَّ حرارة المعدة (٣٧) درجة مثل حرارة الجسم، وحرارة الماء متفاوتة، ولكنها على العموم أقل من حرارة المعدة بكثير، وعلى ذلك فإنَّ مصَّ الماء أسلم لحرارة المعدة.

٧ ـ ومن فوائد مصِّ الماء الوقايةُ من الغصص، فمصُّ الماء يجعله أسرع انحداراً في المريء لخفته، بخلاف العبِّ الذي لا يسهل انحداره في المريء؛ لكثرته.

٨ ـ وهناك حكمةٌ عملية في مصِّ الماء، وهي: الوقاية من

الخطأ، فمص الماء؛ أي: الإدخال التدريجي والبطيء يمكِّن الشارب من التوقف عن شرب الماء في حال ملاحظة عدم صلاحيته للشرب، كبرودته الشديدة، أو فساده بمواد أخرى، أو الخطأ في تناوله كما يحصل في كثير من الحالات، فيشرب الإنسان سائلاً آخر بدل الماء، كالمواد الحامضة، أو القلوية، والتي تؤهب إلى حروق المري، والفم، واللسان، وما يتبع ذلك من حصول تضيق مري، أي: تشوه ثابت في المري.

ففي حال مصِّ الماء يستطيع الشارب التوقف بعد تناول كمية قليلة منه لا تملأ الفم، وبالتالي لا تصل إلى المري، أما في حال عبِّ الماء؛ فلا ينتبه الإنسان إلا بعد تناول كميةٍ كبيرةٍ كافيةٍ لإحداث عاهةٍ دائمة.

وهكذا نلاحظ: أنَّ رسول الله ﷺ قد أوتي جوامع الكلم عندما قال: «مصُّوا الماء مصَّاً، فإنه أهنأ، وأمرأ، وأبرأ»[1].

* * *

(١) رواه الديلمي، وانظره في كنز العمال (٤١٠٥٠).

الفصل العشرون

الهدي النبوي في علاج الشقيقة

جاء في صحيح البخاري: (أنَّ رسول الله ﷺ قال في مرض موته: «وارأساه»، وكان يعصب رأسه في مرضه)[1].

وذكر أبو نعيم في كتابه الطب النبوي: أنَّ هذا النوع من الصداع كان يصيب النبيَّ ﷺ، فيمكث اليوم، واليومين، ولا يخرج، وفيه عن ابن عباس قال: «خطبنا رسول الله ﷺ وقد عصب رأسه بعصابة»[2] تشمل كلمة الصداع كل آلام الرأس، ويعتبر الصداع من أكثر الأعراض شيوعاً لدى الإنسان، وبالتالي فهو من أكثر المزعجات للإنسان.

أما صداع الشقيقة، فهو شكل خاص من الصداع، يتصف بأنه دوريٌّ، ونابضٌ، وشامل لنصف الرأس، ومن هنا سمي: الشقيقة؛ لأنه يشمل شق الرأس، أو نصفه. ترافق الشقيقة

---

(١) رواه البخاري (٥٦٦٦) كتاب المرضى، والنسائي في الكبرى (٧٠٧) كتاب التطبيق.

(٢) رواه أحمد (١/ ٢٧٠) والبخاري (٤٦٧) كتاب الصلاة.

الوصفية باضطراباتٍ عصبيةٍ وصفيةٍ حسيَّةٍ، أو حركيَّةٍ، كالعمى النصفي، أو العمى المركزي، أو الخذل الشقي، أو اضطراب الكلام، كما تترافق الشقيقة بالغثيان، أو القيء، وفي هذا الشكل النموذجي تسبق الاضطرابات العصبية الصداع، ويتبع الغثيان، والقيء الصداع. وهناك أشكالٌ غير وصفيةٍ من الشقيقة، حيث يوجد الصداع فقط دون الاضطرابات العصبية، أو دون الغثيان والقيء، أو دون كليهما.

يمكن للشقيقة أن تبدأ في أيِّ عمر، ولكنها تبدأ عادة بعد الأربعين من العمر، وتستمر طيلة الحياة، ولكن تواتر النوب يخف مع تقدم السن والشقيقة غالباً عائلية، كما أنها تصيب النساء أكثر من الرجال.

من المتفق عليه في صداع الشقيقة: أن الآلية هي توسع الأوعية خارج القحف، حيث أنَّ توسع الشرايين الصدغية مع تمطط البنى الحسيَّة المجاورة لها هما الأساس في آلية آلام صداع الشقيقة. وقد ثبت توسع الأوعية خارج القحف من خلال جريان الدم.

إنَّ معالجة صداع الشقيقة يعتمد على الآلية المرضية للشقيقة، فبما أنَّ الآلية هي توسع الأوعية خارج القحف فإنَّ العلاج يكون بمكافحة هذا التوسع، والوقاية منه، ومن هنا

يبدو واضحاً: أنَّ تعصيب الرأس بعصابةٍ يفيد في علاج صداع الشقيقة؛ لأنه يقبض ويضيق الأوعية المتسعة، ومما يؤكد صحة الهدي النبوي في علاج الشقيقة هو:

١ ـ علاج الشقيقة بمركبات الأركو (الاركوتامين والدي هدرو أركوتامين) حيث: أنَّ مركبات الأركو تكافح الشقيقة من خلال إحداثها لتقبض وعائي في كل أوعية الجسم، ومنه تقبيض الأوعية الدماغية خارج القحف، وهذا هو العلاج الرئيسي للشقيقة.

٢ ـ علاج الشقيقة بالأوكسجين، وذلك لأنَّ الأوكسجين يضيق الشرايين الدماغية بخلاف غاز ثاني أوكسيد الكربون الذي يوسعها، ولكن الأوكسجين الذي يعطى لعلاج الشقيقة يجب أن يعطى لعدة جلسات (مدة الجلسة ٤٥ ـ ٦٠ دقيقة) وتحت عدة ضغوط جوية.

* * *

الفصل الحادي والعشرون

فوائد التمر

قال رسول الله ﷺ: «بيتٌ لا تمر فيه جياعٌ أهله»[١]. وفي رواية: «لا يجوع أهل بيت عندهم التمر»[٢].

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يأكل البطيخ بالرطب»[٣].

قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنه: «رأيت رسول الله ﷺ يأكل القِثَّاء بالرطب»[٤].

قال عبد الله بن بسر السلمي رضي الله عنه: «كان ﷺ يحب الزبد والتمر»[٥].

قال يوسف بن عبد الله بن سلام رضي الله عنه: «رأيت

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٦) (١٥٣) كتاب الأشربة.

(٢) رواه مسلم (٢٠٤٦) (١٥٢) كتاب الأشربة.

(٣) رواه الترمذي (١٨٤٣) كتاب الأطعمة.

(٤) رواه البخاري (٥٤٤٩) كتاب الأطعمة.

(٥) رواه أبو داود (٣٨٣٧) كتاب الأطعمة.

رسول الله ﷺ أخذ كسرة خبز شعير، فوضع عليها تمرة، فقال: هذه إدام هذه»[1].

قال صاحب مختار الصحاح في وصف التمر: (أوله طَلْعٌ، ثم خَلاَلٌ بالفتح، ثم بَلَحٌ بفتحتين، ثم بُسْرٌ، ثم رُطَبٌ، ثم تمرٌ» والحقيقة أنَّ الطلع، والخلال، والبلح، والبسر، والرطب، والتمر هي مراحل تمر بها ثمرة النخيل أثناء تكونها ونضجها، والفوارق الغذائية بينها ضئيلة، بحيث نستطيع أن نقول: لا أهمية لها، فهي متقاربة من حيث القيمة الغذائية.

١ ـ يحتوي التمر على ٧٥٪ من تركيبه مواد سكرية تمتاز بكونها سهلة الهضم، وسهلة الامتصاص، وبالتالي فإنَّ التمر مصدر للطاقة الحرورية، يمكن الحصول عليه على مدار السنة وفي كل الفصول، فحفظه لا يحتاج إلا إلى قليل من العناية، والتمر يعتبر من أكثر الفواكه احتواءً على المواد السكرية.

٢ ـ يحتوي التمر على ٢,٤٪ من وزنه ألياف، هذه الألياف تعتبر عاملاً هاماً في تنشيط حركة الأمعاء، ومرونتها، فهو ملين طبيعي، يقي من الإمساك، وما يجره من عسرة الهضم، والاضطرابات.

٣ ـ يحتوي التمر على ٢٪ من وزنه بروتينات، وعلى ٢٪

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٣٠) كتاب الأطعمة.

من وزنه مواد دسمة، فهو بذلك يعتبر من أغنى الفواكه بالمواد البروتينية، والمواد الدسمة.

٤ ـ يحتوي التمر على ٢٠٪ من وزنه ماء. وعلى ذلك نقول: إنَّ التمر باحتواءه على المواد السكرية، والمواد البروتينية، والمواد الدسمة، والماء قد احتوى على العناصر الأساسية في المواد الغذائية، فهو بذلك يعتبر غذاءً كاملاً مثالياً، أي: إنَّ الإنسان إذا لم يستطع الحصول إلا على التمر كغذاء؛ فإنه يستطيع العيش عليه وحده، ولفترات طويلة من الزمن.

٥ ـ مادة الرطب بالذات تحتوي على هرمون الأوكسيتوسين، وبالتالي فهي تفيد في تسريع المخاض بتقبيضها لعضلة الرحم، وتفيد في تقليل النزف الحادث بعد الولاة بتقبيض العروق الدموية، كما يحتوي الرطب على مواد خافضة للضغط تساهم في تقليل النزف أيضاً من خلال خفضها للضغط الدموي.

٦ ـ يحتوي التمر على بعض الفيتامينات، مثل الفيتامين A، والفيتامين D، والفيتامينB1، والفيتامين B2.

٧ ـ يحتوي التمر على الكثير من المعادن، فمئة غرام من البلح تحتوي على:

(٤٠ ـ ٧٢) ملغ فوسفور.

(٦٥ ـ ٧١) ملغ كالسيوم.

(٦٥) ملغ منغنيزيوم.

(٢ ـ ٤) ملغ حديد.

(٩، ٠) ملغ صوديوم.

(٧٩٠) ملغ بوتاسيوم.

(٦٥) ملغ كبريت.

(٢٨٣) ملغ كلورين.

(٣) ملغ كلور.

حتى يصح أن يقال عن ثمرة التمر: إنَّها منجم صغير.

٨ ـ إنَّ لكل معدن من المعادن السابقة دوره في بناء الجسم، كما أن له أهميته رغم قلة كميته، فالعناصر الزهيدة على قدر كبير من الأهمية، وفقدانها يسبب الأمراض، فعنصر الفوسفور مثلاً ضروري لتركيب الدماغ، والعظام، والأسنان، والغدد التناسلية.

وعلى العموم نقول: إنَّ للمعادن أهميتها فيما يتعلق بالعمليات الكيمياوية في جسم الإنسان، وتدخل في تركيب أنسجته، ونقص أحدها يكون له آثارٌ ضارةٌ على الجسم.

٩ ـ يعتبر التمر مضاداً للإقياء ومهدئاً مضاداً للقلق، كما يفيد في الصداع.

١٠ ـ إن التمر باحتوائه على المنغنيزيوم يعتبر من العوامل الوقائية من السرطانات، كما أنه يفيد في مقاومة الشيخوخة.

١١ ـ ثبت في السنة ضرورة الفِطْر على التمر، وفي ذلك إشارة إلى حال الصائم في آخر صيامه الذي يكون قد انخفض عنده سكر الدم، وهذا يفسر حالة العصبية التي تصيب الصائم في آخر النهار، ولذلك فإن تناول المواد السكرية قبل أي مادة أخرى يزيل عوارض نقص السكر، ويهدىء الجسم.

* * *

الفصل الثاني والعشرون

فوائد زيت الزيتون

قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت، وادَّهنوا به، فإنه من شجرةٍ مباركةٍ»[1].

المقصود من قول رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت» هو زيت الزيتون، لأن تتمة الحديث تقول: «فإنه من شجرةٍ مباركةٍ» والشجرة المباركة هي شجرة الزيتون المذكورة في القرآن الكريم في سورة النور في قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].

ووصف الزيتونة بأنها لا شرقيةٌ، ولا غربيةٌ كناية عن صفاء الزيت وشفافيته.

فما هي فوائد ثمرة الزيتون، وزيت الزيتون؟..

١ ـ ثمرة الزيتون مادة غذائية جيدة تمتاز باحتوائها على:

---

(١) رواه الترمذي (١٥٨١) كتاب الأطعمة.

نسبة عالية من المواد الدسمة، تقدر بـ ١٣,٥٪
ونسبة لا بأس بها من البروتين، تقدر بـ ١,٥٪
وعلى نسبة عالية من المواد النشوية تقدر بـ ١٦,٧٪.

٢ ـ يستفاد من الزيتون بأكل ثماره، كما يستفاد منه باستخراج الزيت المعروف بين الناس بالزيت الطيب، ذي الطعم الطيب، والقيمة الغذائية العالية.

٣ ـ يحتوي زيت الزيتون على الفيتامين D الذي يقي من الكساح عند الأطفال، وتلين العظام عند الكبار، كما يحتوي على الفيتامين E الذي يفيد في الإخصاب التناسلي، كما أنه غني بالفيتامين A والفيتامين B المركب.

٤ ـ على أنَّ أهم ما يميز زيت الزيتون هو: أنَّ الحموض الدسمة الداخلة في تركيبه هي حموض دسمة غير مشبعة، لا تسبب ارتفاع الكولسترول في الدم، بل تساعد على خفضه بإعاقة امتصاصه، وبالتالي تقي من أمراض تصلب الشرايين، وخناق الصدر (الذبحة القلبية) واحتشاء العضلة القلبية.

وهذه الحموض الدسمة غير المشبعة توجد في الزيوت النباتية، كزيت الذرة (مازولا)، وزيت القطن، وزيت عباد الشمس. وهذه الحموض الدسمة غير المشبعة أسهل هضماً، وأسهل استقلاباً من الحموض الدسمة المشبعة الموجودة في المواد الدسمة الحيوانية.

٥ ـ يفيد زيت الزيتون كفاتح للشهية بسبب احتوائه على مواد عطرية، تثير الشهية للطعام.

٦ ـ يفيد زيت الزيتون كملين، ومضاد للإسهال، ويستخدم في معالجة الإمساك إما بشربه عن طريق الفم، وفي هذه الحالة يفضل حلُّه بعصير الليمون، وإما بشكل حقنة شرجية.

٧ ـ يعتبر زيت الزيتون طارحاً للحصيات الصفراوية، لأنه يزيد من إفراغ الصفراء.

٨ ـ كما يعتبر زيت الزيتون طارحاً للحصيات البولية، ولذلك يستفاد منه في حالات القولنج الكلوي الناجم عن الحصيات في الأنابيب البولية.

٩ ـ إذا مزج زيت الزيتون مع الهرمونات الجنسية فإنه يبطىء امتصاصها، ويستفاد من هذه الخاصية بمزجه بالهرمونات، وإعطاء المزيج حقناً عضلياً، وبالتالي الحصول على مفعول للحقنة يدوم لعدة أيام.

١٠ ـ إنَّ زيت الزيتون ملطف للجلد، وملين له، مما يجعل الجلد ناعماً أملس، ويقي من التشققات الجلدية، وجفاف البشرة، وقد أشار الحديث إلى هذه الخاصية بقوله: «وادهنوا به».

١١ ـ تحتوي ثمار الزيتون على الكثير من الأملاح المعدنية، كالصوديوم، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والمنغنيز، والنحاس، والفوسفور، وهذه لها دور في العمليات الحيوية في الجسم.

١٢ ـ يستخدم زيت الزيتون في كثير من المستحضرات الطبية، كأساس يجمع بين المواد الصيدلانية الموجودة في الدواء الواحد.

* * *

الفصل الثالث والعشرون
فوائد الحبة السوداء

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بهذه الحبة السوداء؛ فإنَّ فيها شفاءً من كلِّ داءٍ إلا السَّام»[1].

وفي رواية أخرى: «في الحبة السوداء شفاءٌ من كلِّ داء إلا السام، والسام: الموت»[2].

قال أبو هريرة رضي الله عنه: (الشونيز دواء من كلِّ داءٍ إلا السام).

وقال ابن شهاب: (والسَّام: الموت، والشونيز: الحبَّة السوداء).

الحبة السوداء هي: الشونيز بلغة الفرس، وتسمى: الكمون الأسود في السودان، وتسمى: الكمون الهندي،

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٨) كتاب الطب، ومسلم (٢٢١٥) (١٨٩) كتاب السلام.

(٢) رواه البخاري (٥٦٨٧) كتاب الطب، ومسلم (٢٢١٥) (٨٨) كتاب السلام.

وتعرف في بلاد الشام ومصر باسم حبة البركة.

والحبَّة السوداء تؤخذ من نبتةٍ تنمو في حوض البحر الأبيض المتوسط، ويصل ارتفاع هذه النبتة إلى (٥٠سم)، والحبة السوداء عبارةٌ عن بذور سوداء لها حجم السمسم، ويستخرج منها الزيت.

يوجد عالمياً أكثر من عشرين صنف من الحبة السوداء، إلا أن أكثرها استعمالاً ثلاثة: الحبة السوداء الهندية ـ والحبة السوداء الحلقية ـ والحبة السوداء الشامية.

الحبة السوداء من أقدم النباتات الطبية استعمالاً، وقد ذكرت لها في الطب القديم فوائد واستعمالاتٌ كثيرةٌ سواء باستخدامها مفردة مسحوقة، أو غير مسحوقة، أم بإضافة مواد أخرى إليها.

وقد ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه (الطب النبوي): أنَّ الحبة السوداء تجفف المعدة، وتكافح رطوبتها، وتحلل الرياح، وتفتح السدد، وتُذْهب النفخ، وتنفع من البرص وتذيب الحصاة المتكونة في الكليتين والمثانة، وتدر البول، والحيض، واللبن، وتخرج الديدان من الجهاز الهضمي، وتشفي من الزكام، وتنفع في ضيق النفس، والصداع، واليرقان، وتنفع من وجع الأسنان، والماء العارض في

العين، وتشفي من البثور، والجرب المتقرح، والأورام الصلبة.

كما أنها تنفع من اللَّقوة، ومن لسع الرتيلاء، وتفيد في علاج القروح الجلدية، والحزاز الجلدي، والفالج، والكزاز، وغير ذلك.

إن قراءة الحديث تجعل الإنسان يتساءل: هل تفيد الحبة السوداء في كل الأمراض تماماً كما يتبادر للذهن من القراءة الأولى للحديث النبوي؟...

في الإجابة على هذا السؤال اجتهاداتٌ متعددةٌ نوجزها:

١ ـ قال ابن قيم الجوزية: (قوله: «شفاء من كل داء» مثل قوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] أي: كلَّ شيء يقبل التدمير ونظائره)، وعلى هذا يكون المعنى شفاء من كل داء يقبل الشفاء.

٢ ـ قال ابن حجر العسقلاني: (إنَّ معنى كون الحبة السوداء شفاء من كل داء: أنَّها لا تستعمل في كل داءٍ صرفاً، بل استعملت مركبة، مسحوقةً، وغير مسحوقةً، وربما استعملت أكلاً، وشرباً، وسعوطاً، وضماداً، وغير ذلك. وقيل: إنَّ قوله ﷺ: «كلَّ داء» تقديره: يقبل الشفاء بها).

٣ ـ قال الخطابي: (قوله: «من كل داء» هو من العام

الذي يراد به الخاص؛ لأنه ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع الأمور التي تقابل الطبائع في معالجة الأدواء بما يقابلها، وإنما المراد: أنها شفاء من كل داء يحدث من الرطوبة).

٤ ـ قال أبو بكر بن العربي: (العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواءً من كل داء من الحبة السوداء، ومع ذلك فإنَّ من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله في العسل: «فيه شفاء للناس» الأكثر والأغلب، فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى).

أقول ومع ذلك فقد لا يحتاج الحديث إلى تأويلٍ، أو تخصيصٍ؛ لأنه ثبت من الدراسات والأبحاث التي أُجريت على الحبة السوداء أنها تلعب دوراً هاماً في تقوية وتنشيط الجهاز المناعي في جسم الإنسان، ولما كانت قدرة الجسم على مجابهة الأمراض مرتبطة بقوة جهازه المناعي، فإن الحبة السوداء بتقويتها للجهاز المناعي تشكل شفاء ودواء لكل الأدواء، وهي تفيد في معالجة كلِّ الأمراض، بما فيه السرطانات، ولا يستثنى من ذلك إلا الموت، والذي هو نموذج للأمراض، والأدواء التنكسية التي تصيب الإنسان.

ولكن ما هو التركيب الكيمياوي للحبة السوداء؟

إن (١٠٠) غ من الحبة السوداء تحتوي على:

١ ـ (١٩,٣) غ ماء.
٢ ـ (١٧,٩) غ بروتين.
٣ ـ (١٢,٩) غ دهن.
٤ ـ (١٠,٨٠) ملغ كالسيوم.
٥ ـ (١) ملغ حديد.
٦ ـ (٢٠) مكغ فيتامين A.
٧ ـ (٢,٦) مكغ نياسين.
٨ ـ (٦,٣) غ ألياف.
٩ ـ (٧,٨) غ رماد.
١٠ ـ (٣٦٤) سعرة حرورية.

تفيد الحبة السوداء في الأمراض التنفسية، والهضمية، والبولية، والتناسلية، والجلدية، وإليك تعداد لهذه الأمراض:

١ ـ الأمراض التنفسية التي تفيد فيها الحبة السوداء هي: الزكام ـ والسعال ـ والرَّبو.

٢ ـ الأمراض الهضمية التي تفيد فيها الحبة السوداء هي: عسرة الهضم ـ وغازات المعدة والأمعاء ـ وضعف الشهية للطعام ـ وداء المتحولات الزحارية ـ والديدان الشريطية ـ وديدان الأسكاريس (حيات البطن).

٣ ـ الأمراض البولية، والتناسلية التي تفيد فيها الحبة

السوداء هي: عسرة التبول (حرقة بولية) ـ والضعف الجنسي عند الرجال ـ والاضطرابات الطمثية عند المرأة.

٤ ـ الأمراض الجلدية التي تفيد فيها الحبة السوداء هي: الجرب ـ والقوباء الجلدية ـ والأكزيما الجلدية ـ والالتهابات الجلدية ـ والبثور الجلدية ـ والعد (حب الشباب).

هذه فوائد الحبة السوداء بشكل عام، ولكن هناك فوائد أكَّدتها الدراسات، وعُرِفَت الآلية التي تحقق الفائدة من خلال معرفة المادة الموجودة في تركيب الحبة السوداء:

١ ـ إن الزيت الطيار الموجود في الحبة السوداء يحتوي على مادة النيغللون، وهي مادةٌ مضادةٌ للهيستامين، ومن هنا فائدة الحبة السوداء في علاج الربو بتوسيع القصبات، وفي علاج ارتفاع الضغط الدموي بتوسيع الأوعية الدموية، وفي علاج بعض الأمراض الهضمية بإزالة التشنجات المعدية والمعوية.

٢ ـ تحتوي الحبة السوداء على مواد لها صفة الصَّادات توقف نمو الجراثيم، ولا تسمح للجراثيم بالنمو في وسط غذائي توجد فيه الحبة السوداء، وهذا يعلل فوائد الحبة السوداء في معالجة الالتهابات، والإنتانات.

٣ ـ استخلص من الحبة السوداء على صبغة لها خواص

مسكنة، ومنومة لطيفة، ومن هنا فائدة الحبة السوداء كدواء مسكن خاصة في تسكين آلام الأسنان بالغرغرة، وفائدتها كمنوم خفيف يمكن استخدامه عند الأطفال.

٤ ـ كما أن احتواء الحبة السوداء على زيت إتيري يجعلها تفيد في المغص المعوي، كطاردة للغازات.

٥ ـ أثبتت الدراسات: أنَّ الحبة السوداء تنشط جهاز المناعة في جسم الإنسان بزيادة نسبة التائيات المساعدة مقارنة مع التائيات المثبطة، ومن هنا فائدة الحبة السوداء في مكافحة الأمراض بشكل عام، والأمراض الفيروسية بشكل خاص.

إنَّ هذا الحديث عن الحبة السوداء لا يعني أن استخدام الحبة السوداء بشكل عشوائي سوف يكون مفيداً، بل إنَّ الاستخدام يجب أن يكون مدققاً بمعرفة المقادير والكيفيات والمواد الأخرى المضافة في بعض الحالات، وهذا ما نتركه للكتب المختصة.

فعلى سبيل المثال توضع الحبة السوداء في كثير من القرى على أرغفة الخبز عند تحضيرها، وتؤكل مع الخبز، وهذا الشكل من الاستعمال يجعل الفائدة من الحبة السوداء قليلةً جداً؛ لأن تسخين الحبة السوداء يذهب مادة الزيت الموجودة فيها؛ وبالتالي تفقد الكثير من خصائصها، كما أن تناولها دون طحن يجعل الاستفادة منها قليلة أيضاً، وربما تدخل وتخرج

ولا يستفيد الجسم منها. وبشكل عام إنَّ مزج ملعقة من الحبة السوداء المطحونة مع كأس من الحليب على الريق طريقة تحقق الكثير من فوائد الحبة السوداء.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

فوائد الحِنَّاء

روى ابن ماجه في سننه: (أنَّ النبي ﷺ كان إذا صُدِعَ غلَّف رأسه بالحناء، ويقول: إنه نافع بإذن الله)[1].

وروى ابن ماجه في سننه: (كان لا يصيب النبي ﷺ قرحةٌ، ولا شوكةٌ إلا وضع عليها الحناء)[2].

وروى أحمد في مسنده، وأبو داود في السنن: (أنَّ رسول الله ﷺ ما شكا إليه أحد وجعاً في رأسه إلا قال: احتجم، ولا شكا إليه وجعاً في رجليه إلا قال له: اختضب بالحناء)[3].

---

(١) ذكره ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٨٤ ـ ٨٥) وعزاه إلى ابن ماجه ولم نجده عنده.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٥٠٢) كتاب الطب.

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٦٢) وأبو داود (٣٨٥٨) كتاب الطب.

وقال رسول الله ﷺ: «إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكَتَم»[1].

ما هو الحناء؟ وما هي فوائده الطبية؟

يستخرج الحناء من شجرة الحناء، وهي شجرة تشبه شجرة الرمان، ويصل طولها إلى (٣) أمتار، مستديمة الخضرة، لها أوراق بيضاوية بطول (٣ ـ ٤) سم، تجمع هذه الأوراق، وتجفف، وتطحن، وتباع كمسحوق. تنتشر زراعة شجرة الحناء في المناطق الحارة، وخاصةً مصر، والجزيرة العربية، والهند.

عُرِفَ الحناء منذ القديم، وقد ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه (الطبّ النبوي): أنَّ الحناء نافع من حرق النار إذا ضُمِّد به، وينفع من قروح الفم والسلاق إذا مضغ، ويبرىء القلاع الحادث في أفواه الصبيان، والضماد به ينفع من الأورام الحارة الملتهبة، وينفع من آلام الجنب، وينفع من إبتداء الجذام، وينفع من تشقق أظافر الأصابع، وينفع من الجرب، وينفع من النفاطات والبثور العارضة في الساقين والقدمين، وسائر البدن، وأنه يثبت الشعر، ويقويه، ويحسنه.

من خلال الأحاديث الواردة في الحناء نلاحظ أنه:

---

(١) رواه الترمذي (١٧٥٣) كتاب اللباس.

يستخدم لعلاج الصداع، ويستخدم لعلاج القروح، والجروح، ويستخدم لعلاج أوجاع الرجلين، كما أنه يستخدم كمادة صباغية مع أفضلية على سائر المواد الصباغية.

فما هو التعليل الطبي لفائدة الحناء في هذه الحالات؟

وما هي آلية عمله في شفاء هذه الأمراض؟

١ ـ إن فائدة الحناء في معالجة الصداع ليست مطلقةً، فهو لا يعالج كل أنواع الصداع، وإنما يفيد الحناء في علاج الصداع الناجم عن فرط التوتر الشرياني، وذلك بامتلاكه لخاصيتين، فهو ينظم ضربات القلب، وينبه القلب من جهة، ويسبب ارتخاء العضلات، وتوسيع الأوعية الدموية من جهة أخرى؛ إذ أنَّ آلية الصداع الناجم عن فرط التوتر الشرياني هي تقبض الأوعية الدموية. وعلى هذا فعلاج الصداع في الحديث هو جزئي، وليس كلي، فهو علاج لنوع من أنواع الصداع، فلا يفيد في علاج صداع الشقيقة؛ لأن سبب صداع الشقيقة هو التوسع الوعائي في الأوعية خارج القحف، وخاصةً الشرايين الصدغية ومن هنا كان علاج صداع الشقيقة هو تعصيب الرأس بعصابةٍ جاء في صحيح البخاري: (أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته «وارأساه» فكان يعصب

رأسه بعصابةٍ)[1] وقال ابن عباس: (خطبنا رسول الله ﷺ وقد عصب رأسه بعصابة)[2] في حين كان علاج الصداع الآخر الناجم عن فرط التوتر هو الحناء، كما ذكر ابن ماجه في سننه: (أن النبي ﷺ كان إذا صُدِّع غلف رأس بالحناء ويقول: إنه نافع بإذن الله)[3] فانظر إلى الحكمة النبوية والهدي النبوي في تدبير الصداع وعلاجه.

٢ ـ أما استخدام الحناء في علاج الجروح، والقروح فقائم على امتلاك الحناء لخاصيتين: (الأولى) احتواؤه على صادات حيوية فعالة ضد أنواع كثيرة من الجراثيم، أي: خاصية مقاومة للالتهابات الجرثومية (والثانية): احتواؤه على مواد قابضة تجفف الجلد وتقسيه وتمنع تعطينه، وبالتالي تؤدي للقضاء على الالتهابات الفطرية بالقضاء على الرطوبة، وإزالة الوسط الملائم لنمو الفطور.

٣ ـ استخدام الحناء في علاج آلام الرجلين، وخاصةً القدمين قائم على أساس علاج السحجات الناجمة عن السير، وعلاج داء الأفوات الفطري، وذلك بتجفيف الجلد والقضاء

---

(١) سبق تخريجه ص (١٠٦).

(٢) سبق تخريجه ص (١٠٦).

(٣) سبق تخريجه ص (١٢٦).

على الرطوبة، أي: إزالة الوسط الملائم لنمو الفطور والمحافظة على الطبقة السطحية من الجلد التي تتفتت في حال الإصابة بالالتهابات الفطرية.

٤ ـ وأما تخضيب الرأس بالحناء؛ فيمتاز عن غيره من المواد الصباغية (أولاً): بأنه لا يؤدي إلى أمراض تحسسية، أو انسمامية، أو التهابية، كما يحدث من الأصبغة أحياناً (وثانياً): بأنه ينقِّي الفروة من الجراثيم، والطفيليات، ومن المفرزات الدهنية الزائدة بخواصه المطهرة والقابضة. كما يفيد في علاج إلتهابات فروة الرأس، وفي علاج قشرة الرأس البسيطة، وفي علاج قشرة الرأس الناجمة عن النخالية المبرقشة.

٥ ـ جاء في الحديث النبوي: «إن أحسن ما غيرتم به هذا الشيب الحناء والكَتَم»[١] فما هو الكتم؟.

(الكَتَمْ) بفتحتين نوع من النباتات الجبلية تنمو بين الصخور، فإذا جففت أوراقه، وطحنت، وأضيف إلى الحناء فإنه يقوي الشعر، ويصبغ الشيب بلون كستنائي.

وهذا النبات يخلط عادة مع الحناء، فيزيد في فعاليته، ويعطي للشعر لوناً أفضل من اللون الذي يعطيه الحناء وحده.

* * *

---

(١) سبق تخريجه ص (١٢٦).

الفصل الخامس والعشرون
علاج النزوف بالرماد والكي

قال سهل بن سعد: (لما كان يوم أحد عمدت فاطمة إلى حصير أحرقته، وألصقته على جرح رسول الله ﷺ)[1].

قال ابن قيم الجوزية: (رماد الحصير المعمول من البُرْدي له فعل قوي في حبس الدم؛ لأن فيه تجفيفاً قوياً، وقلة لذع، فإن الأدوية القوية التجفيف إذا كان فيها لذع هيجت الدم، وجلبته، وهذا الرماد إذا نفخ وحده، أو مع الخل في أنف الراعف؛ قطع رعافه).

وقال ابن سينا: (البردي ينفع من النزف، ويقطعه، ويُذَرُّ على الجراحات الطرية فيدملها).

إنَّ آلية قطع النزف من الجروح في الجسم باستخدام رماد البردي تعلل طبياً على الشكل التالي.

١ ـ يقوم الرماد بامتصاص قسم كبير من المصل الدموي،

---

(١) رواه البخاري (٢٤٣) كتاب الوضوء، وابن ماجه (٣٤٦٤) كتاب الطب.

وهو السائل الذي تسبح فيه الكريات والصفيحات، وعملية الامتصاص هذه تساعد على تكوين الخثرة الدموية باجتماع الصفيحات الدموية مع بعضها، وتراصها، وتراكمها، وهذا الفعل هو التجفيف الذي تكلم عنه الأطباء القدامى.

٢ ـ إنَّ وجود الرماد على الجرح يساعد في تخرب الصفيحات التي تتخرب أيضاً من تماسها مع حواف الجرح، وتخريب الصفيحات يؤدي إلى إطلاق خميرة (الترومبوكيناز)، وهي خميرة تساعد على التخثر.

٣ ـ يوجد في رماد البردي مواد قابضة كالعفص، وهذه أيضاً تساعد على إيقاف النزيف.

هذه العوامل الثلاثة تجتمع معاً في إيقاف النزف من الجرح في حال استخدام رماد البردي.

قال جابر بن عبد الله: (رمى سعد بن معاذ في أكحله فحسمه رسول الله ﷺ)[١].

ومعنى حسمه: أي: كواه، والحديث يدل على علاج الجروح ونزوفها بالكي، ومن المعروف في الطب الحديث: أن الكيَّ يقطع النزف، فما هي الآلية؟.

---

(١) سبق تخريجه ص (٥٦).

إنَّ آلية قطع النزف بالكيِّ هي: أنَّ الكيَّ يخثر الأوعية الكائنة على مسير المكواة، فيسد هذه الأوعية، كما أنَّ الكي يخثـر الآحينـات، وبـالتـالـي فـالكـي يقطـع النـزف بـآليتيـن مجتمعتين: سد الأوعية، وتخثير الآحينات، ولكن هناك شرط، وهو أن تكون المكواة بلونٍ أحمر قاتمٍ، ففي هذه الحالة يكون فعلها أقل عمقاً، وتلتصق بالنسج التي تكويها، وتخثر الآحينات، وتقطع النزف، أما إذا كان لونها أحمر مبيض فإن فعلها يكون أكثر عمقاً، ولا تلتصق بالنسج، ولا تقطع النزف. وباختصار يجب أن تكون المكواة محماتً باعتدال، أما إذا كانت محماةً بشدةٍ فلا تفيد في قطع النزف.

* * *

الفصل السادس والعشرون

فوائد السنا

عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «بماذا كنت تستمشين؟ قالت بالشبرم، قال: حارٌّ جار، قالت ثم استمشيت بالسَّنا فقال: لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بالسنا والسنوت»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «إن خير ما تداويتم به السعوط، واللدود، والحجامة، والمشي»[3].

(الاستمشاء) هو: تليين الطبع حتى يمشي، ولا يصير بمنزلة الواقف. والمشي: هو الذي يمشي الطبع، ويلينه، ويسهل خروج الخارج. وقيل: سمي بذلك لأنه يكثر مشي

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٨١) كتاب الطب.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٥٧).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٤٧) كتاب الطب.

صاحبه إلى الخلاء، ويكثر تردده إلى الخلاء بعد تناول الدواء.

وقوله ﷺ: «بماذا كنت تستمشين؟» أي: بماذا كنت تستطلقين؟ ومعناه: بأي دواء كنت تسهلين بطنك، وفي رواية «بماذا تستشفين»؟.

(الشُبْرم) هو حبٌ صغيرٌ شبيهُ بالحمص. وقيل: هو قشر عرق شجرة، وهو من الأدوية المسهلة؛ التي أوصى الأطباء بترك استعمالها؛ لخطرها، وشدة إسهالها.

قوله ﷺ: «حار جار» قال ابن قيم الجوزية في كتابه (الطب النبوي): (وفيه قولان (أحدهما): أنَّ الحار الجار بالجيم: الشديد الإسهال، فوصفه بالحرارة وشدة الإسهال وكذلك هو، (والثاني): وهو الصواب أن هذا من الاتباع الذي يقصد به تأكيد الأول، ويكون بين التأكيد اللفظي والمعنوي، ولهذا يراعون فيه إتباعه بأكثر حروفه، كقولهم حَسَن بَسَن. أي: كامل الحسن، وقولهم: حسن قسن بالقاف، ومنه: شيطان ليطان، وحار جار). وفي رواية (حار يار) بالياء و(يار) لغة في (جار).

(السَّنا) قال ابن قيم الجوزية: (هو نبتٌ حجازي أفضله المكي، وهو دواء شريف مأمون الغائلة، قريب من الاعتدال، يسهل الصفراء، والسوداء، ويقوي القلب، وخاصيته النفع من

القمل، والصداع العتيق، والجرب، والبثور، والحكة، والصرع).

السَّنا شجيرة يبلغ طولها ٢ ـ ٣ أمتار، أوراقها صغيرة خضراء، ولها أنواعٌ عديدة، توجد في السودان، والجزيرة العربية، والصومال، والهند.

ومع أن السنا ورد في الحديث كمسهل إلا أنَّ له فوائدَ طبيةً كثيرةً، وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ: «لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا»[١]، فما هي الفوائد الطبية لهذا الدواء؟.

١ ـ يستخدم السَّنا مسهلٌ، وملينٌ، وذلك حسب الجرعة المستعملة:

ـ حيث إنَّ آليات تأثيره هي: تنشيط الإفرازات من الغدد الهضمية، وكذلك تحريض العضلات الملساء، والحركات الحوية للأمعاء، وخاصة على مستوى الكولون، وكذلك التأثير على التبادل الشاردي على مستوى الكولونات، كما يقوم بحبس الماء ضمن الكتلة البرازية، وكل هذه الآليات تؤثر مجتمعة في إحداث الإسهال، أو التليين لدى استخدام السنا.

---

(١) سبق تخريجه ص (١٣٤).

ـ إنَّ علاج الإمساك بالسنا له عدة طرق إما عن طريق الفم، وذلك بأن يسف مطحون الأوراق، ويشرب فوقه الماء. أو ينقع في الماء المغلي، ويشرب ماؤه، أو يخلط مع العسل والماء، ويشرب، وإما عن طريق الحقن الشرجية.

ـ أما المادة المؤثرة في السنا والتي تحدث الإسهال والتليين فقيل: إنها حمض الكريزوفاني، وقيل: إنها أشباه سكريات الإنتراكينون، وقيل: إنها مادة السينوسايد.

ـ وهناك حالات لا يستطب فيها استخدام السنا، وهي التهاب الكولون التشنجي (الكولون المتهيج)، والتهابات المثانة والرحم، والحمل، والإرضاع.

ـ هناك فرق بين الشبرم والسنا. هو: أنَّ الشبرم مسهلٌ قوي جداً، وبالتالي فإن استخدامه يجب أن يكون بدقة، وبتحديد من الطبيب. في حين أنَّ السنا مسهل مقبول. وهذا الاستبدال للشبرم بالسنا يدل على حكمة طبية نبوية عظيمة.

ـ كما أن السنا يمتاز عن غيره من المسهلات بعدم وجود إدمان عليه. أي: إن الانقطاع لا يسبب الإمساك، وصعوبة التبرز، كما أنه لا حاجة لزيادة الجرعة للحصول على نفس الفائدة الطبية في التليين.

٢ ـ يحتوي السنا على مواد مضادة للجراثيم، ومنه فائدة

السنا في مقاومة الالتهابات الجرثومية، وكذلك يحتوي على مواد مضادة للفطور، وبالتالي فعاليته في مقاومة الالتهابات الفطرية، والأهم هو فعالية السنا في مقاومة الحمَّات الراشحة (الفيروسات) بإيقاف نموها، وهذا الاكتشاف على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنه لا يوجد حتى الآن دواء فعال ضد هذا النوع من الكائنات الحية الممرضة.

٣ ـ أما (السَّنوت) المذكور في الحديث فقد اختُلِفَ في ماهيته، وقد ذكر ابن قيم الجوزية في كتابه (الطبّ النبوي) ثمانية أقوال حول السَّنوت هي:

١ ـ العسل.

٢ ـ رُبُّ عكة السمن (يخرج خططاً سوداء على السمن).

٣ ـ حب يشبه الكمون.

٤ ـ الكمون الكرماني.

٥ ـ الرازيانج (اليانسون).

٦ ـ الشِّبْت (نوع من التوابل).

٧ ـ التمر.

٨ ـ العسل الذي يكون في زقاق السمن.

ويقول في التفسير الأخير للسنوت (أي: العسل الذي يكون في زقاق التمر): (قال بعض الأطباء: وهذا أجدر بالمعنى، وأقرب للصواب. أي: يخلط السنا مدقوقاً بالعسل

المخالط للسمن، ثم يلعق فيكون أصلح من استعماله مفرداً، لما في العسل والسمن من إصلاح للسنا، وإعانته على الإسهال، والله أعلم).

على أن الشبت، واليانسون من الأدوية المسكنة، والمهدئة، وبالتالي فإنَّ إعطاء أحدها مع السنا كما جاء في الحديث: «عليكم بالسنا والسنوت»[1] يعدل من تأثيراته ويلطفها. وكذلك العسل، أو العسل المخالط للسمن إعطاؤه مع السنا يزيد من تأثيره المسهل، كما يحسن طعمه.

* * *

---

(١) سبق تخريجه ص (١٣٤).

الفصل السابع والعشرون

ماء الكمأة والتراخوما

قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المَنِّ، وماؤها شفاء للعين»[1].

قال ابن الأعرابي: (الكمأة: جمع، واحده: كمء) وقال غير ابن الأعرابي: (الكمأة للواحد، والكمء للكثير) وقال غيرهما: (الكمأة تكون واحدةً، وجمعاً).

قال ابن قيم الجوزية: (الكمأة تكون في الأرض من غير أن تزرع. وسميت: كمأةً لاستتارها، ومنه كمأ الشهادة: إذا سترها، وأخفاها. والكمأة مختفية تحت الأرض، لا ورق لها، ولا ساق.

وهي مما يوجد في الربيع، ويؤكل نيئاً، ومطبوخاً،

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٨) كتاب الطب، ومسلم (٢٠٤٩) (١٥٧) كتاب الأشربة.

ويسميها العرب: نبات الرعد؛ لأنها تكثر بكثرته، وتنفطر عنها الأرض).

وقوله ﷺ: «الكمأة من المنِّ» يحتمل قولين:

١ ـ إن الكمأة من المنِّ كالفرع من الأصل، وعلى هذا فالمنُّ ليس شيئاً واحداً، وإنما هو أشياءُ كثيرةٌ من النباتات، والأطعمة. ومنها: الكمأة، وسميت هذه الأشياء بالمنِّ؛ لأنها توجد من غير زرع، ولا سقي، فهي ممنونٌ بها من الله على عباده.

٢ ـ أما القول الثاني: فهو: أنَّ الكمأة تشبه المنَّ، حيث إنَّ كلاًّ منهما يحصل من غير تعبٍ، ولا زرعٍ، ولا سقيٍّ، ولا علاجٍ.

فالقول الأول يحمل وصف (الكمأة من المنِّ) على الحقيقة، والقول الثاني يحمل وصف (الكمأة من المنِّ) على التشبيه.

أما قوله ﷺ: «وماؤها شفاءٌ للعين» فيحتمل معنيين أحدهما: أن ماءها مفرداً يحقق للعين الشفاء. والآخر أنَّ مزج مائها مع غيره من الأدوية يحقق الشفاء.

قال الغافقي: (ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين، إذا عجن به الإثمد، واكتحل به، ويقوي أجفانها، ويزيد الروح الباصرة

قوةً، وحدّةً، ويدفع عنها نزول النوازل).

الكمأة هي نوعٌ من الفطور تشبه البطاطا في شكلها، وحجمها. ولونها بُنِّيٌّ غامقٌ، وليس لها أوراق، ولا ساق، ولا أزهار، تكثر في السنوات الماطرة، وتوجد في الصحارى، وتحت أشجار البلوط، وتنمو في باطن الأرض وعلى عمق ١٥ ـ ٢٠سم.

الكمأة لا تزرع، وقد جرت محاولات لزرعها لكنها باءت بالفشل، وهذا يؤكد: أنَّ الكمأة هي مما مَنَّ الله به على عباده من غير زرع، ولا سقيٍ، ولا علاجٍ، تماماً كما قال رسول الله ﷺ: «الكمأة من المنِّ».

تحتوي الكمأة على ٩٪ بروتين، و٣٪ نشويات، و١٪ دسم. كما تحتوي على الفوسفور، والبوتاسيوم، والكالسيوم، والصوديوم، كما تحتوي على الفيتامين B2، أو الريبوفلافين، حيث أنَّ عوز الفيتامين B2 عند الأطفال يؤدي إلى مجموعة من الأعراض منها الخوف من الضياء، واحتقان المتلحمة، والدُّماع إضافةً إلى تشقق الصوارين، وتشقق اللسان، وتقصف الأظافر، وعند الكبار يؤدي إلى اضطرابات في الرؤية.

إنَّ الاكتشاف الأهم فيما يتعلق بالعلاقة بين ماء الكمأة وعقابيل التراخوما العينية هو كون ماء الكمأة يقي من عقابيل

التراخوما، وقبل التوسع في الكلام حول هذه العلاقة سنتكلم بشكل مختصر عن التراخوما، أو الحثر العيني.

التراخوما مرض التهابي في العين يتصف بحدوث حبيبات في الملتحمة، وفي باطن الأجفان، واحتقان معمم في الملتحمة يعطيها المنظر الأحمر المخملي، وينتهي بشتر الأجفان، وبعض علل الرؤية. ينتشر المرض في المناطق الحارة، والمعتدلة، وأكثر الإصابات توجد في منطقة الشرق الأوسط، حيث إنَّ نسبة الإصابة به في العالم هي ٢٠٪.

العامل المسبب هو حمَّة راشحة (فيروس) تسمى الكلاميديا التراخومية، وينتقل المرض بالتماس مع المفرزات العينية للمريض، أو بواسطة الذباب، أو بواسطة حوائج المريض.

والعلاج يكون بإعطاء الصَّادات الحيوية، والمشاركة بين أكثر من صادٍّ حيويٍّ واحدٍ، كإعطاء التتراسكلينات مع السلفاميدات. والوقاية تكون بعدم التماس مع مفرزات المريض، وتعقيم حوائج المريض، ومكافحة الذباب.

إن المشكلة في التراخوما ليست المريض بل العقابيل؛ لأن المرض يشفى وحده، حتى لو لم يعالج، على أن لا يكون متشاركاً مع مرض آخر، كالتهابات الملتحمة

الجرثومية، وهذا هو حال معظم الإصابات المرضية بالحمات الراشحة.

إن عقابيل التراخوما هي:

١ ـ الشتر العيني الداخلي، أو الخارجي.
٢ ـ الشعرة العينية.
٣ ـ إنسدال الجفن الجزئي.
٤ ـ تشوه ظفر العين الضخامي.
٥ ـ جفاف العين، والتصاق الجفن بالمقل.

إن هذه العقابيل تجمع كلها تحت عنوانٍ واحدٍ، وآليةٍ واحدةٍ هي: التندب المعيب، أو اضطراب التليف.

والجديد في هذا المجال هو ما توصل إليه الدكتور المعتز بالله المرزوقي بإجراء تجارب على مرضى التراخوما من خلال معالجتهم بماء الكمأة؛ إذ تم استخلاص العصارة المائية من الكمأة، ثم تمَّ تجفيفها للاحتفاظ بفعاليتها لمدة كافية ريثما يتم استخدامها، وعند الاستعمال يحل المسحوق في ماء مقطر بنفس تركيز ماء الكمأة الطبيعي.

تم تقسيم مرضى التراخوما إلى مجموعتين: مجموعة عولجت بالصَّادات الحيوية (مراهم وقطرات)، أو بالكورتيزونات (مراهم وقطرات)، ومجموعة أخرى أضيف إلى علاجها السابق ماء الكمأة حيث تم تقطير ماء الكمأة في

العين ثلاث مرات في اليوم، ولمدة شهر كامل.

وكانت النتائج: أنَّ المجموعة الأولى شفيت من التراخوما، ولكن أصيبت بالعقابيل. أي: التليف، والتندب على الأغلب، وأن المجموعة الثانية شفيت من التراخوما، ولم تصب بالعقابيل من تندب وتليف.

وأما آلية تأثير ماء الكمأة في منع حدوث التندب والتليف فهي: التدخل في تكوين الخلايا المكونة للألياف، والتقليل من زيادة التجمع الخلوي، ومنع النمو غير الطبيعي للخلايا البطانية للملتحمة.

وهكذا نجد: أنَّ ماء الكمأة كان شفاءً للعين من حصول التليف، والتندب، كعقابيل للإصابة بالتراخوما.

هذه الحقيقة العلمية لم تكن معروفة يوم قال الرسول الكريم ﷺ: «الكمأة من المنِّ وماؤها شفاء للعين»، وبين معرفتها في العصر الحديث وبين إخبار الرسول ﷺ عنها أربعة عشر قرناً فهل بعد هذا الإعجاز من إعجاز؟ وإذا لم يكن هذا هو الإعجاز فما هو الإعجاز؟..

* * *

الفصل الثامن والعشرون

فوائد القسط البحري والهندي

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أمثل ما تداويتم به الحجامة والقُسْطُ البحري»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العُذْرَة، وعليكم بالقسط»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «عليكم بهذا العود الهندي، فإنَّ فيه سبعة أشفية: يُسْتعط به من العذرة، ويُلَدُّ به من ذات الجنب»[3].

قبل أن نتكلم عن الأمراض الطبية، والعلاجات الدوائية الواردة في هذه الأحاديث لا بدَّ من تحديد المصطلحات.

١ ـ (القُسْط) بضم القاف، وسكون السين، هو: العود. فيصح أن نقول: القسط البحري، ويصح أن نقول: العود

---

(١) رواه البخاري (٥٦٩٦) كتاب الطب.

(٢) رواه البخاري (٥٦٩٦) كتاب الطب.

(٣) رواه البخاري (٥٦٩٢) كتاب الطب.

البحري، ويقال مثل هذا في الهندي. والقسط نوعان: النوع الأول هو البحري، أو الأبيض، أو الحلو، والنوع الثاني: هو الهندي، أو الأسود، أو المر، والهندي أشد حرارة من البحري، وهذا العود يؤخذ من نبتة القسط التي يبلغ ارتفاعها (١,٥) م، ولها أوراقٌ، وساقٌ، وجذورٌ، وهو يعيش في الهند، القسم المستعمل منه في العلاج هو قشور جذوره التي تكون بيضاء، أو سوداء، وسمي البحري؛ لأن العرب كانت تجلبه عن طريق البحر، وأما تسميته بالحلو، أو المر، فذلك متعلق بطعمه.

قال ابن قيم الجوزية: (القسط ضربان (أحدهما): الذي يقال له البحري (والآخر): الأسود، ويقال له: الهندي، وهو أشدهما حراً، والأبيض ألينهما).

٢ ـ (العُذْرة) بضم العين وسكون الذال هي التهاب الحلق واللوزات. والغمز هو: الضغط بالإصبع. قال ابن قيم الجوزية: (العذرة: تهيجٌ في الحلق من الدم، فإذا عولج منه قيل: قد عذر به، فهو معذور، وقيل: العذرة قرحةٌ تخرج فيما بين الأذن والحلق، وتعرض للصبيان غالباً).

٣ ـ (السَّعوط) هي: تناول الدواء عن طريق الأنف بالتقطير. قال ابن قيم الجوزية: (والسَّعوط ما يصب في الأنف، وقد يكون بأدويةٍ مفردةٍ ومركبةٍ، تدقُّ، وتنخل،

وتعجن، وتجفف، ثم تحل عند الحاجة، ويسعط بها في أنف الإنسان، وهو مستلق على ظهره، وبين كتفيه ما يرفعهما؛ لينخفض رأسه، فيتمكن السعوط من الوصول إلى دماغه، ويستخرج ما فيه من الداء بالعطاس).

طبعاً يقصد ابن القيم بالدماغ هنا البلعوم الخلفي؛ لأنه عندما عرف العذرة قال: إنها تهيج في الحلق من الدم.

٢ ـ (ذات الجنب) إن معنى ذات الجنب اللغوي هو: صاحبة الجنب، ولكن ذات الجنب كمرض تحدَّث فيه القدماء، فقال ابن حجر العسقلاني: (هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع، وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياحٍ غليظة تمتص بين الصفاقات، والعضل التي في الصدر والأضلاع، فتحدث وجعاً، فالأول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الأطباء، قالوا: ويحدث بسببه خمسة أعراض: الحمى، والسعال، والنخس، وضيق النفس، والنبض المنشاري).

وقال ابن قيم الجوزية: (ذات الجنب عند الأطباء نوعان: حقيقي، وغير حقيقي، فالحقيقي: ورم حار يعرض في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع، وغير الحقيقي: ألم يشبهه، يعرض في نواحي الجنب من رياحٍ غليظة مؤذية، تحتقن بين الصفاقات، فتحدث وجعاً قريباً من

وجع ذات الجنب الحقيقي، إلا أنَّ الوجع في هذا القسم محدود، وفي الحقيقي ناخسٌ... ويلزم ذات الجنب الحقيقي خمسة أعراض هي: الحمَّى، والسعال، والوجع الناخس، وضيق النفس، والنبض المنشاري. وما يسميه الأطباء القدامى ذات الجنب غير الحقيقية هو أقرب ما يكون في الطب الحديث إلى الريح الصدرية. وما يسمونه ذات الجنب الحقيقية ينطبق على ذات الجنب الجرثومية، وذات الجنب الحموية، وذات الرئة الجرثومية، كاختلاط لذات الجنب الجرثومية.

٥ ـ (اللَّدُود) قال ابن حجر العسقلاني: (اللَّدود بفتح اللام وبمهملتين، هو: الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض. واللُّدود بالضم: الفعل، ولددت المريض: فعلت ذلك به) وقال ابن قيم الجوزية: (اللَّدُود ما يسقى الإنسان في أحد شقي الفم، أُخذ من لديدي الوادي، وهما: جانباه، وأما الوَجور فهو وسط الفم) ينقل ذلك عن الأصمعي.

فقه الأحاديث من الناحية الطبيَّة:

١ ـ يحتوي القسط على مادة الهيلينين، وحمض البنزوات، وكلاهما من المواد المطهرة القاتلة للجراثيم، ومن هنا فائدة القسط في علاج التهاب اللوزات، والتهاب اللهاة، والتهاب البلعوم، وهو المقصود بالعُذْرة في الأحاديث.

٢ - كما أن احتواء القسط على هذه المواد المطهرة القاتلة للجراثيم يعلل فائدة القسط في علاج ذات الجنب الجرثومية، وذات الرئة الجرثومية، أما إذا كانت ذات الجنب فيروسية فإنَّ القسط يفيد في الوقاية من اختلاطاتها، كالتصاق الوريقات الجنبية.

٣ - إن الجمع بين الحجامة والقسط له مغزى طبي في ضوء احتواء القسط على حمض البنزوات، والهيلينين، المطهرتين، والقاتلتين للجراثيم، وهو دور القسط في تعقيم مشرط الحجامة، إذا طلي به، ودوره في تعقيم الجروح المحدثة بهذا المشرط.

٤ - كما أن الجمع بين القسط والحجامة يحمل سراً آخر هو: الوقاية من التشوهات والندبات. يقول موفق الدين البغدادي في كتابه (الطب من الكتاب والسنة):

(وفي جمعه ﷺ بين الحجامة والقسط سرٌّ لطيف، وهو أنه إذا طلي به مشرط الحجامة؛ لم يتخلف في الجلد أثر المخاريط، وهذا من غرائب الطب) كما أشار إلى هذه المسألة الحافظ الذهبي في كتابه (الطبّ النبوي).

٥ - في النهي عن غمز العذرة، أي: النهي عن ضغط اللوزات والحلق الملتهبين بالإصبع إشارةٌ واضحةٌ إلى الهدي

النبوي في تصحيح الأخطاء الشائعة في الطبِّ الشعبي، حيث إنَّ غمز العذرة ليس فقط لا يفيد في علاجها، بل وكذلك يضر، فهو يسبب ألماً شديداً للمريض، وقد يسبب نزف الدم، وقد يسبب إنتشار الالتهاب إلى المناطق المجاورة، وقد يسبب انتقال الجراثيم الممرضة إلى الدم، وبالتالي تجرثم الدم.

ومع ذلك ورغم مرور أربعة عشر قرناً على نهي النبي ﷺ عن غمز العذرة نجد أنَّه لا زال شائعاً في بعض المناطق، فيسمون العذرة: بنات الأذن، ويسمون غمزها، أي: ضغطها بالإصبع: رفع بنات الأذن، وحقيقة الأمر ليس هناك نزول ولا صعود، بل هو التهاب لوزات يجب معالجته بالصَّادات الحيوية، ومسكنات الألم الآن، كما كان يعالج قديماً بالقسط.

٦ ـ قوله ﷺ: «ويُلَدُّ به من ذات الجنب» قلنا اللدود ما يسقى في أحد جانبي الفم، واللُّدود بالضم هي الفعل، وفي هذا إشارة إلى طريقة إعطاء الدواء للمريض عندما لا يتمكن من تناوله بيده، أو يرفض تناوله، كما يحصل عند الأطفال غالباً، فإذا رفض الطفل تناول الدواء فيجب إعطاءه إياه عنوةً، وذلك بفتح فمه وسقيه الدواء في أحد جانبي فمه،

أو كليهما، أما وضع الدواء في وسط فمه فقد يؤدي إلى الشردقة.

٧ ـ قوله ﷺ: «فإن فيه سبعة أشفية» قال ابن حجر العسقلاني: (كذا وقع الإختصار في الحديث عن السبعة على اثنين، فإما أن يكون ذكر السبعة، فاختصره الراوي، أو اقتصر على الاثنين لوجودهما حينئذ دون غيرهما) وقال أيضاً: (ويحتمل أن تكون السبعة أصول التداوي بها، لأنها إما طلاء، أو شرب، أو تكميد، أو تقطير، أو تبخير، أو سعوط، أو لدود).

٨ ـ أشارت الأحاديث إلى نوعين من القسط، هما: البحري، والهندي، وقد علل ذلك ابن حجر العسقلاني فقال: (هو محمول على وصف لكل ما يلائمه، فحيث وصف الهندي كانت الحاجة إلى معالجة أشدّ حرارة، وحيث وصف البحري كان دون ذلك في الحرارة».

أي: حسب الحالة الالتهابية، وشدتها، فإذا كان الالتهاب شديداً فالقسط المناسب هو الهندي، وإذا كان الالتهاب خفيفاً، أو متوسطاً، فالقسط المناسب هو البحري. والله أعلم.

* * *

الفصل التاسع والعشرون

فوائد الصبر

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في الرجل يشتكي عينيه وهو محرم، قال: «ضمدهما بالصبر»[١].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: (دخل عليَّ رسول الله ﷺ حين توفي أبو سلمة، وقد جعلت على عيني صبراً، فقال: ما هذا يا أم سلمة؟ فقلت: إنما هو صبر يارسول الله ليس فيه طيب، فقال: إنه يشبُّ الوجه، فلا تجعليه إلا بالليل، وتنزعيه بالنهار)[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «ماذا في الأمرَّين من الشفاء: الصبر والثُّفَّاء»[٣].

قال ابن قيم الجوزية: (الصبر كثير المنافع، لا سيما

---

(١) رواه مسلم (١٢٠٤) (٨٩) كتاب الحج.

(٢) رواه أبو داود (٢٣٠٥) كتاب الطلاق، والنسائي (٦/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥).

(٣) رواه البيهقي (٩/ ٣٤٦) كتاب الضحايا.

الهندي منه ينقي الفضول الصفراوية التي في الدماغ، وأعصاب البصر، وإذا طلي على الجبهة والصدغ بدهن الورد نفع من الصداع، وينفع من قروح الأنف، والفم، ويسهل السوداء، والماليخوليا.

والصبر الفارسي يذكي العقل، ويشدُّ الفؤاد، وينقي الفضول الصفراوية والبلغمية من المعدة إذا شرب منه ملعقتان بماء).

(الصَبِرْ) بكسر الباء، ويصح تسكينها نبات معمر من النباتات الصحراوية الدائمة الخضرة، له ساقٌ قائمة وأوراقٌ، متناوبة ذات حواف مسنَّنة، ويصل ارتفاعه إلى (٥٠ سم).

تنتشر زراعته في المناطق الاستوائية، وليس هو الصبار كما يظن بعض الناس.

يتم تحضير عصارة الصبر بقطع أوراقه من القاعدة، وتوضع بشكل قائم حتى تسيل العصارة، وهي ذات لونٍ أسودَ مخضرٍ، ورائحةً غير مستساغة، وطعم شديد المرارة، ومن هنا قال الرسول الكريم ﷺ: «ماذا في الأمرَّين»، وهناك طرق أخرى لتحضير عصارة الصبر، كتقطيع الأوراق وجعلها في وعاء من القصدير ذو ثقوب في قاعدته، وتركها تسيل من هذه الثقوب.

إنَّ الدراسات الحديثة أثبتت: أنَّ للصبر عدة فوائد طبية، بعضها أشارت إليه النصوص النبوية، وبعضها الآخر لم تشر إليه، فما هي هذه الفوائد؟..

١ ـ يحتوي الصبر على مركبات الإنتراكينولون، وهذا ما يجعل له خاصية مسهلة نتيجة لفعله المخرش للغشاء المخاطي للأمعاء، وهذا التأثير يحصل بعد ٨ ـ ١٠ ساعات من تناوله.

كما أن مادة الإنتراكينولون يستخرج منها مادة الإنترالين المستخدمة في علاج الصدفية، وهي من الأمراض الجلدية الشائعة والمزمنة، وتتجلى بسطوحٍ حمامية وسفية محدودة. وآلية الاستفادة من الإنترالين هنا هو تخريش العقار للجلد.

إن المقادير القليلة من الصبر مشهيةٌ، وهاضمةٌ أما المقادير المتوسطة؛ فهي ملينةٌ، والمقادير الكبيرة مسهلةٌ شديدة، ومكان تأثير الصبر هو الأمعاء الغليظة، وتناول الصبر كمسهل يسبب احتقان في الأوعية الحوضية، ولذلك لا يعطى للحوامل، والمصابين بالبواسير، والمصابين بضخامة البروستات.

٢ ـ يحتوي الصبر على مادة مضادة للبروستاغلاندين، ولما كان البروستاغلاندين من المواد المحدثة للالتهاب فإنَّ

الصبر يفيد في معالجة الالتهابات بشكل عام، ومنه استخدامه في معالجة الالتهابات العينية؛ التي أشار إليها الحديث، عندما قال رسول الله ﷺ لمن يشتكي عينيه: «ضمدهما بالصبر»، وهذه الخاصية تجعل الصبر مفيداً في علاج الجروح، والسحجات الجلدية، والتهاب الحبال الصوتية، والحلق، والتهاب المفاصل، كما أن للصبر خاصيّة موقفه لنمو عصيات السل، وبالتالي الاستفادة منه بإعطائه للمصابين بالسل ليس وحده وإنما مع الأدوية السلية.

٣ ـ يحتوي الصبر على مادة لاكتات المغنيزيوم التي تمنع تشكل الهيستامين، وبما أن تشكل الهيستامين هو المسؤول عن الحكة، والظواهر التحسسة، فإن الصبر يفيد في علاج لدغ الحشرات، والأمراض التحسسية الجلدية، والأمراض التحسسية العينية.

٤ ـ يحتوي الصبر على مادة براديكيناز التي تفكك مادة البراديكينين؛ التي هي أحد وسطاء الألم، والمسؤولة عن الألم في الالتهابات الجلدية، كما أنَّ مادة البراديكيناز تقبض الأوعية الدموية، ولذلك يستفاد من الصبر في علاج الحروق بشكل عامٍ، وحروق الشمس، وحروق الإشعاعات.

٥ ـ يحتوي الصبر على مركبات غليكوزيدية، تجعله يرطب البشرة، وينعمها، وبالتالي: يحافظ على نضارة

الوجه، ورونقه، ولذلك قال عنه الرسول الكريم ﷺ: «إنه يَشُبُّ الوجه» أي: يعيد له شبابه، وهذه الخاصية تم الاستفادة منها بإدخال الغليكوزيدات الموجودة في الصبر في المستحضرات التجميلية، كالمراهم، والشامبو، والصابون، وبالتالي: الحصول على بشرة جلدية رطبة وناعمة.

* * *

الفصل الثلاثون
الاكتحال بالإثمد

قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «إن من خير أكحالكم الإثمد، يجلو البصر، وينبت الشعر»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «من اكتحل فليوتر»[3].

قال ابن قيم الجوزية: (الإثمد هو حجر الكحل الأسود، يؤتى به من أصفهان، وهو أفضله، ويؤتى به من جهة المغرب أيضاً، وأجوده السريع التفتيت؛ الذي لفتاته بصيص، وداخله أملس ليس فيه شيء من الأوساخ). (وفي الكحل حفظٌ لصحة العين، وتقويةٌ للنور الباصر، وجلاءٌ لها، وتلطيفٌ للمادة

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٤٩٥) كتاب الطب، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٧) كتاب الطب، والترمذي (١٧٥٧) كتاب اللباس.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٩٧) كتاب الطب، والترمذي (١٧٥٧) كتاب اللباس، وابن حبان كما في الإحسان (٥٤٢٣).

(٣) رواه أبو داود (٣٥) كتاب الطهارة.

الرديئة، واستخراجٌ لها، مع الزينة في بعض أنواعه، وله عند النوم مزيد فضل لاشتمالها على الكحل، وسكونها عقيبه عن الحركة المضرة بها، وخدمة الطبيعة لها).

وقال ابن حجر العسقلاني: (والإثمد بكسر الهمزة والميم: حجر معروف أسود، يضرب إلى الحمرة، يكون في بلاد الحجاز، وأجوده يؤتى به من أصبهان، واختلف هل هو اسم الحجر الذي يتخذ منه الكحل، أو هو نفس الكحل؟).

١ ـ الإثمد شبه معدن شديد القابلية للتمدد يرمز له (sb) ويسمى الانتيموان، يستعمل في الطب في داء اللايشمانيا، وداء البلهارسيا، كما يستعمل كمقيء، ومن مركباته العضوية: الأنتومالين، والفؤادين، والغلوكانتيم، ومن مركباته المعدنية: طرطرات الإثمد (الطرطير المقيء).

٢ ـ مع أن للإثمد استخدامات علاجية كثيرة، فإنَّ الأحاديث قد خصته ببعض المزايا في طبِّ العيون، وهذه المزايات هي أنه يجلو البصر، وينبت الشعر.

٣ ـ إن فائدة الإثمد في جلاء البصر قائمةٌ على خاصيته في مقاومة الجراثيم، من خلال احتوائه على حمض البوريك المعروف بقدرته المطهرة، والقاتلة للجراثيم، حيث إنَّ مكافحته للجراثيم يشفي من التهابات الملتحمة الجرثومية، وبالتالي شفاؤها من الاحتقان، وزوال الاحتقان من الملتحمة

العينية يجعل الرؤية جيدة، ويحفظ صحة العين.

٤ ـ وأما فائدة الإثمد في إنبات الشعر فقائمة على خاصيته في التنبيه والتخريش الخفيف للبشرة، والأدمة، والأغشية المخاطية، فيقوي بصلات الأشعار، ويحسن نموها، ويجعل الأشعار تطول أكثر، وتحافظ على نموها.

٥ ـ إن احتواء الإثمد على المواد المطهرة يجعله مفيداً في علاج قرحات القرنية وسحجاتها، وبالتالي فهو يجلو البصر ويحسن الرؤية؛ لأن القرنية تقع أمام الحدقة، والقرحات والسحجات في القرنية تؤثر على الرؤية بآلية حجب الرؤية.

٦ ـ إن الذي يؤكد خاصية الإثمد في مكافحة الالتهابات الجرثومية هو: استعمال مركبات الإثمد طبياً في علاج ومكافحة بعض الأمراض الطفيلية، كداء اللايشمانيا الجلدي، وداء البلهارسيا البولي.

٧ ـ والذي يؤكد خاصية الإثمد في تنبيه البشرة، والأدمة، والأغشية المخاطية هو: استعمال مركبات الإثمد في الأدوية المقشعة، والمقيئة، وفي المراهم الجلدية المستخدمة لعلاج السعفات الجلدية، أي: البقع التي يزول منها الشعر لأسباب متعددة.

٨ ـ ومع أنَّ الإثمد ذو فائدة كبيرة، وفي مجالاتٍ متعددةٍ

كما ذكر؛ فإنَّ استخدامه يجب أن يكون بمقادير محددة، فالمقادير الكبيرة منه تسبب التسمم به، شأنه في ذلك شأن أيِّ مادة دوائية تحقق الشفاء بمقدار، وتسبب التسمم بمقدار أكبر.

٩ ـ إن الاكتحال بالإثمد الذي وجَّه إليه الرسول الكريم ﷺ ليس معناه الاكتحال بالإثمد المغشوش، وإنما بالإثمد الصافي، فبعض الأكحال الموجودة في الأسواق مغشوشة بالرصاص وهذا يجعلها تسبب الانسمام، فالانسمام هنا من الرصاص المخلوط بالإثمد، وليس من الإثمد.

١٠ ـ قوله ﷺ: «من اكتحل فليوتر»[١].

إن كلمة الوتر تحتمل الأعداد المفردة من الواحد إلى الثالث عشر، ولكن جاء في الأحاديث ما يحدد الوتر بأنه ثلاثة.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كانت للنبي ﷺ مكحلة يكتحل منها ثلاثاً في كل عين)[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ

---

(١) سبق تخريجه ص (١٥٨).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٤٩٩) كتاب الطب.

إذا اكتحل يجعل في اليمنى ثلاثاً، يبتدىء بها، ويختم بها، وفي اليسرى ثنتين)[1].

قال ابن حجر العسقلاني: (وحاصله ثلاثاً في كل عين، فيكون الوتر في كل واحدة على حدة، أو اثنتين في كل عين وواحدة بينهما، أو في اليمين ثلاثاً وفي اليسرى ثنتين، فيكون الوتر بالنسبة لهما جميعاً، وأرجحها الأول والله أعلم).

* * *

---

(١) ذكره ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ٢٨٠).

الفصل الحادي والثلاثون

الطب الوقائي في سنن الفطرة

قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ من الفطرة: الاستحداد، والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر»[1].

سنن الفطرة هي السنن التي اختارها الله للأنبياء، فأمرهم باتباعها، وأمرنا بالاقتداء بهم، وجعلها من الشعائر التي تميز أتباع الأنبياء عن غيرهم من الناس.

وهذه السنن وإن كان الظاهر منها أنها من قبيل النظافة؛ فإن لها مقصوداً آخر، وهو الوقاية من الإصابة من الأمراض، وهذا الطب الوقائي في سنن الفطرة ملازم لفعل النظافة؛ لأن الأمراض التي تصيب الإنسان إذا أهمل العمل بسنن الفطرة العامل المؤهب لها، والمساعد على حدوثها، هو عدم النظافة، وقد تحدثنا في الفصول السابقة عن اثنتين من هذه

---

(١) رواه البخاري (٥٨٩١) كتاب اللباس، ومسلم (٢٥٧) (٤٩ و٥٠) كتاب الطهارة.

السنن، وهما الختان في فصل مستقل، وتقليم الأظافر في الفصل الذي عنوناه بالطب الوقائي في الوضوء، ونتحدث في هذا الفصل إن شاء الله عن سنتين أخريين هما: الاستحداد ونتف الإبط.

الاستحداد: هو إزالة أشعار العانة، وتحصل هذه الإزالة بالحلق، أو بالنتف، أو باستعمال المراهم، وليس المقصود بأشعار العانة التي تنمو على القُبُل فقط، بل وكذلك الأشعار ما حول الشرج، فهذه أكثر عرضة للاتساخ من غيرها.

وأما نتف الإبط: فهو إزالة أشعار الإبط بالحلق، أو بالنتف، أو بالمراهم المزيلة للأشعار.

إنَّ الاستحداد، والختان يعتبران من العوامل الوقائية والعلاجية في العديد من الأمراض التي تصيب هذه المناطق.

١ ـ إنَّ إزالة أشعار العانة وأشعار الإبط تعتبر إجراءاً وقائياً من الإصابة بقمل العانة الذي يتظاهر بالحطاطات الوردية الحاكة، واللطاخات الإردوازية (بقع صباغية سنجابية) والإفرازات المتسخة والنقاط النزفية.

ينحصر هذا النوع من القمل عند الكهول نتيجة إهمالهم حلق أشعار العانة، وينتقل بالمقاربات الجنسية حيث يتثبت القمل بواسطة أطرافه الخلفية على قاعدة الأشعار، ويعيش

القمل بصورة خاصة على أشعار العانة، وأشعار ما حول الشرج، وقد يصيب أشعار الإبط، كما قد يصيب أشعار الفخذ، والبطن، وغيرهما.

إنَّ حلق أشعار العانة، وأشعار ما حول الشرج، وأشعار الإبط يعتبر الإجراء الوقائي من قمل العانة؛ لأن القمل لا يجد الأشعار كي يتثبت عليها، وكذلك يعتبر حلق الأشعار الإجراء العلاجي في حال الإصابة بهذا المرض، إضافة إلى المراهم الجلدية.

٢ ـ المَذَح: تبدو المنطقة المصابة حمراء رطبة حاكة، وقد تصبح نازة، ومتعطنة، ومتشققة، ومكتسية بحويصلات، وبثور، والعامل المسبب هو نوع من الفطور يسمى: المبيضات البيض، ويصيب مناطق الثنيات التناسلية، وتحت الإبطين إضافةً إلى غيرها من المناطق الجلدية التي تتصف بالثبات، والعوامل المؤهبة للإصابة هي: السمنة، والرطوبة، وعدم النظافة، وبالتالي فإنَّ حلق الأشعار في هذه المناطق يعتبر أحد العوامل المساعدة على الشفاء من المذح، إضافةً إلى أنَّ حلق الأشعار هنا يعتبر من العوامل الوقائية من الإصابة.

٣ ـ الوَذَح: يصيب الوذح مناطق الثنيات التناسلية، وما تحت الإبطين، ويختلف عن المذح بأن العامل المسبب

هو جرثوم يدعى: الوتديات الخناقية، ويتظاهر ببقع وسفية جافة ذات لون بني، وذات حدود واضحة، والعوامل المؤهبة هي: السمنة، والرطوبة، وعدم النظافة. أما الإصابة الواسعة فيعتبر السكري هو العامل المؤهب لها.

٤ ـ التهاب الجريبات الذقني: العامل المسبب لهذا المرض هو جراثيم العنقوديات، ومنطقة الإصابة هي ما حول الجريبات الشعرية، يصيب أشعار الذقن والشارب عادة، إلا أنَّه قد يصيب أشعار الإبطين، والعانة. يبدأ المرض بحس حرق، ثم تظهر البثور العميقة بشكل مجموعات على سطح احمراري مرتشح، ولما كانت الإصابة هي جريبات الشعرة، فإن الشعرة تصبح مخلخلة، وتقلع بسهولة.

٥ ـ الدمل: العامل المسبب هو: جراثيم العنقوديات، ويتظاهر بتورم صغير مؤلم، ذو لون أحمر قانٍ، يترافق بحرارةٍ موضعيةٍ، ويصيب الجريب العميق للشعرة، وما حوله، ويمكن أن يظهر في أيِّ بقعة من الجسم ما عدا المناطق غير المشعرة، ويصطفي منطقة الإبطين والأليتين، والثنيات التناسلية، ومؤخر الرأس.

٦ ـ التهاب الغدد العرقية المقيح: تتظاهر الآفة بعقيدات حمراء مؤلمة صلبة تشبه الدمل، تتطور هذه العقيدات نحو التليف مشكلة خراجاً، قد ينفرغ للخارج بعد بثق الجلد.

يصيب هذا الالتهاب مناطق الغدد العرقية المفترزة، وهي: الإبطان، والنواحي التناسلية العجانية، وناحية القدمين، وبما أنَّ هذه الغدد لا تنشط قبل البلوغ، فإنَّ الإصابة لا تحصل قبل البلوغ. وفي هذه الحالة يستحب عدم نتف الأشعار؛ لأن ذلك يزيد الآفة سوءاً.

إن الوقاية من هذه الأمراض تكون بإحدى وسيلتين: إما إزالة الأشعار، أو الاعتناء بنظافتها، ولما كانت أشعار العانة، وأشعار الإبط ليس متيسراً الاعتناء بنظافتها يومياً، ولعدة مرات مثلما هو الحال في الأشعار الظاهرة، فإنَّ الحلَّ هو إزالة هذه الأشعار، وبالتالي الوقاية من العديد من الأمراض التي تصيب هذه المناطق، والتي يعتبر عدم النظافة من العوامل المساعدة على حدوثها.

* * *

الفصل الثاني والثلاثون

عدم إكراه المرضى على الطعام

قال رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإنَّ الله عز وجل يطعمهم ويسقيهم»[(١)].

قال ابن قيم الجوزية: (قال بعض فضلاء الأطباء: ما أغزر فوائد هذه الكلمة النبوية المشتملة على حكمٍ إلٰهيةٍ لا سيما للأطباء، ولمن يعالج المرضى، وذلك أنَّ المريض إذا عاف الطعام، أو الشراب، فذلك لاشتغال الطبيعة بمجاهدة المرض، أو لسقوط شهوته، أو نقصانها لضعف الحرارة الغريزية، أو ضمورها، وكيف ما كان فلا يجوز إعطاء الغذاء في هذه الحالة).

قوله ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب» ليس معناه ألا نطعم المرضى، وإنما ألا نجبرهم على تناول الطعام، بل يترك لهم تناول ما يرغبون من الطعام، وهذا

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٤٠) كتاب الطب، وابن ماجه (٣٤٤٤) كتاب الطب.

القول النبوي نهي عن أمر يحصل في الحقيقة، وهو أنَّ مَنْ حول المريض، والقائمين على خدمته يحاولون إجبار المريض على تناول الطعام ظناً منهم: أن ذلك يقوي الصحة على المرض، ويساهم في الشفاء. وحقيقة الأمر ليست كذلك؛ إذ ثبت في الطبِّ الحديث: أنَّ معظم الأمراض تترافق بنقص الشهية، وأحياناً بفقدانها، وذلك لأنَّ جهاز الهضم يكون في حده الأدنى من حيث الفعالية والعمل، والشهية إلى الطعام والرغبة فيه متعلقة بعمل الجهاز الهضمي وفعاليته، ولما كان تباطؤ عمل الجهاز الهضمي مرافقاً لمعظم الأمراض فإنَّ إجبار المريض على الطعام يعني: عدم استفادة المريض من الطعام من جهةٍ، وإضرار الطعام بالجهاز الهضمي للمريض من جهةٍ ثانية. فذلك يسبب عسرة هضم لدى المريض، وهذه تزيد الحالة سوءاً، وتزيد المرض إضراراً بالجسم.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه إذا كان فقدان الرغبة في الطعام، أو نقصانها من دلائل المرض، فإنَّ عودة الرغبة إلى الطعام إلى سابق ما كانت عليه قبل المرض هو من دلائل الشفاء.

والتعامل السديد مع المريض في مسألة الطعام والشراب هو: أن ندخل على أنبوب الهضم من الطعام والشراب القدر

الذي يستطيع التعامل معه، فمقدار الطعام هنا مرتبط بمقدار فعالية الجهاز الهضمي وقدرته على العمل، ومن هنا يستحب أن يكون مقدار الطعام قليلاً، ويحدد هذا المقدار رغبة المريض وشهيته، وأن يكون نوع الطعام سهل الهضم، وسهل الامتصاص أي: يستفاد منه بأقل عمل ممكن من جهاز الهضم.

هذه القاعدة إذا كان الأطباء يعرفونها جيداً فإنَّ الكثير من الناس لا يعرفونها، بل يعتقدون عكسها، ويعملون ضمن هذا العكس، وهو إكراه المرضى على الطعام.

ويقال في الشراب ما قيل في الطعام.

بقي أن نشير هنا إلى أن معظم الأمراض تترافق بالألم، وانعدام الرغبة في الحركة، وانعدام الرغبة في العمل الجنسي، وفقدان الشهية للطعام، نتيجة تباطؤ عمل الأنبوب الهضمي.

قوله ﷺ: «فإن الله يطعمهم ويسقيهم» ليس معناه: أن الله ينزل على المرضى الطعام والشراب كي يتناولونه، وإنما هي إشارة إلى سرٍّ طبيٍّ ظل مجهولاً قروناً كثيرة، وتكشف للعلم الحديث. فقد ظن الأطباء القدامى أنَّ مصدر طعام المريض في حال مرضه أي في حال عدم تناوله للطعام من خارج الجسم هو الدم، وأنَّ جسم المريض يتغذى بالدم، وحقيقة

الأمر ليست كذلك، فالدم ليس غذاءً، وما هو إلا وسيلة لنقل الغذاء، فالدم ينقل المواد الغذائية من الأنبوب الهضمي إلى سائر خلايا الجسم، كما ينقل الفضلات من سائر خلايا الجسم، فتطرح مع البراز، أو البول، كما أنه ينقل الأوكسجين من الرئة إلى سائر خلايا الجسم، وينقل غاز ثاني أوكسيد الكربون (Co2) من سائر الخلايا إلى الرئة، فتطرح إلى الخارج.

فإذا كان الدم وسيطاً في نقل الغذاء، فمن أين يأتي الغذاء للمريض إذا كان لا يتناوله مطلقاً، أو يتناوله بقدر يسير عن طريق جهاز الهضم؟

العلم الطبي الحديث يقول: إن المريض يكسب الطاقة من مصادر داخلية، وهذه المصادر هي:

١ ـ استقلاب الغليكوجين المدَّخر في الكبد والعضلات، وهذا المصدر سريع النفاذ، فإذا استمر المرض؛ تحول الجسم إلى المصدر الثاني.

٢ ـ استحداث السكر، أي: توليد الغلوكوز من مصادر شحمية وبروتينية، حيث تتحلل البروتينات إلى حموض أمينية، وتتحلل الشحوم إلى حموض شحمية، ومن هنا تنقص الشحوم، وتضمر العضلات عند المريض، وهذا ما يتظاهر خارجياً بالهزال.

عل أنه متى عاد المريض إلى رغبته في الطعام قبل المـرض يعـود الجسـم فيـدَّخـر الغـذاء علـى شكـل شحـوم وبـروتينـات، فيكتنـز مـا تحـت الجلـد بـالشحـوم، وتنمـو العضلات.

ويقال في الشراب كلاماً قريباً مما قيل في الطعام، حيث إن تحلل الشحوم، وتحلل البروتينات يوفر الماء الضروري للمريض، وهذا مصدر داخلي للماء غير المصدر الخارجي، وهذا سر لطيف أشار إليه الحديث النبوي عندما ألحق الشراب بالطعام فقال «على الطعام والشراب».

إذاً يطعم الله المرضى ويسقيهم من خلال هذه القوانين والسنن التي أودعها الجسم البشري عندما خلقه وفطره، قوانين ادخار الطعام والشراب في حال عدم الحاجة إلى الطعام والشراب، وهي حالة الصحة، وإعادتها إلى الجسم في حال حاجته إليها، وهي حالة المرض.

* * *

الفصل الثالث والثلاثون
الهدي النبوي في هيئة النوم

قال رسول الله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيِّك الذي أرسلت. واجعلهن آخر كلامك، فإن متّ من ليلتك متَّ على الفطرة»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها: (أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى ركعتي الفجر ـ يعني سنتها ـ اضطجع على شقه الأيمن»[٢].

إنَّ الأوضاع التي يمكن أن يتخذها الإنسان حين نومه هي

---

(١) رواه البخاري (٦٣١١) كتاب الدعوات، ومسلم (٢٧١٠) (٥٦) كتاب الذكر والدعاء.

(٢) رواه البخاري (١١٦٠) كتاب التهجد.

أربعة أوضاع: النوم على الظهر، والنوم على البطن، والنوم على الجانب الأيسر، والنوم على الجانب الأيمن. والرسول الكريم عندما شرع النوم على الجانب الأيمن، إنما شرع ذلك لأن النوم على الجانب الأيمن أفضل الأوضاع للجسم من الناحية الطبية، ولأن النَّوم في أيَّة وضعية من الوضعيات السابقة إنما هو ضارٌّ للجسم من الناحية الطبية.

قال ابن قيم الجوزية: (وأنفع النوم أن ينام على الشق الأيمن؛ ليستقر الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقراراً حسناً، فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلاً، ثم يتحوَّل إلى الشق الأيسر قليلاً؛ ليسرع الهضم بذلك لاستمالة المعدة على الكبد، ثم يستقر نومه على الجانب الأيمن، ليكون الغذاء أسرع انحداراً عن المعدة، فيكون النوم على الجانب الأيمن بداءة نومه ونهايته، وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب ميل الأعضاء إليه، فتنصب إليه المواد.

وأردأ النوم النوم على الظهر، ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم. وأردأ منه أن ينام منبطحاً على وجهه، وفي المسند وسنن ابن ماجه عن أبي أمامة قال: (مرَّ النبي ﷺ على رجل نائم في المسجد منبطحٍ على وجهه فضربه برجله،

وقال: قم، أو أقعد فإنها نومة جهنمية)[1].

قال أبو قراط في كتاب التقدمة: وأما نوم المريض على بطنه من غير أن يكون عادته في صحته جرت بذلك فذلك يدل على اختلاط عقل، وعلى ألم في نواحي البطن. قال الشراح لكتابه: لأنه خالف العادة الجيدة إلى هيئة رديئة من غير سبب ظاهرٍ، ولا باطنٍ.

وسوف نذكر مساوىء النوم على الظهر، أو على البطن، أو على الجانب الأيسر.

أولاً ـ مساوىء النوم على الظهر:

١ ـ يترافق النوم بارتخاء العضلات ومن هذه العضلات عضلات الفك السفلي، وهذا يؤدي إلى فتح الفم أثناء النوم، وبالتالي التنفس عن طريق الفم، والتنفس عن طريق الفم ضار من جهتين (الأولى): أن الهواء الداخل عن طريق الفم لا يترطب، ولا يتدفأ، وبذلك يسبب جفاف البلعوم، والطرق التنفسية، مؤهباً للزكام، والالتهابات التنفسية. (والثانية): أن الهواء الداخل عن طريق الفم لا يتنقى، وبذلك يمكن للحشرات الموجودة في الهواء أن تدخل إلى الفم، وإلى البلعوم محدثة الضرر والأذى للنائم، وهذا لا يحصل عندما

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧٢٥) كتاب الأدب.

يتنفس الإنسان عن طريق الأنف؛ لوجود الأشعار التي تقوم بدور الحاجز، فتمنع دخول الحشرات إلى الأنف.

٢ ـ يترافق النوم على الظهر بارتخاء عضلات شراع الحنك واللهاة، وهذا يعيق التنفس، ولذلك يحدث الشخير كثيراً عند الذين ينامون على ظهورهم، ومعلوم كم هو مزعج الشخير ليس للنائم، وإنما لمن حوله، فهو يوقظ الذين ينامون مع المريض في الغرفة، كما أنَّ ارتخاء عضلات شراع الحنك، واللهاة بإعاقته التنفس قد يوقظ المريض من نومه، كرد فعل لا شعوري على هذه الحالة التي تشبه الاختناق.

٣ ـ النوم على الظهر لا يناسب العمود الفقري؛ لأن العمود الفقري ليس مستقيماً، وإنما له إنثناءان: قطني إلى الأمام، ورقبي إلى الخلف، فشكل العمود الفقري يشبه حرف S مفتوحة، وبالتالي فالنوم على الظهر يضر بالعمود الفقري.

ثانياً ـ مساوىء النوم على البطن:

١ ـ يسبب النوم على البطن ضيق نفس لأنه يعيق حركة القفص الصدري، فالنصف المتحرك من القفص الصدري هو النصف الأمامي، والنوم على البطن يجعل النصف الأمامي من القفص الصدري ثابتاً لانضغاطه بثقل الجسم.

٢ ـ لا يستطيع الإنسان النوم على البطن، إلا إذا أدار وجهه إلى إحدى الجهتين وهذا يسبب انثناء الفقرات الرقبية، ويؤدي إلى تشنج عضلات العنق؛ لأن جزءاً منها يكون في حالة فرط عطف، والجزء الآخر في حالة فرط بسط.

٣ ـ النوم على البطن يسبب انضغاط الأحشاء البطنية، وهذا ضارٌ بها.

ثالثاً ـ مساوىء النوم على الجانب الأيسر:

١ ـ يقع القلب تحت ضغط الرئة اليمنى، وهذا يقلل من نشاطه، ويؤثر على وظيفته.

٢ ـ تقع المعدة تحت ضغط الكبد، وهذا يؤثر على إفراغ محتواها من الطعام نتيجة إعاقتها عن القيام بعملها في التقلص، وهضم الطعام، فإذا كانت المعدة تنفرغ بعد تناول الطعام بـ ٣ ساعات تقريباً في الأحوال الطبيعية، فإنها تستغرق ضعف المدة إذا وقعت تحت ضغط الكبد بالنوم على الجانب الأيسر.

إن الوضعية الصحيحة في النوم هي النوم على الجانب الأيمن؛ لأنها الوضعية الوحيدة التي تخلو من الأضرار، فهي تحرر القلب من ضغط الرئة، وتحرر المعدة من ضغط الكبد، وتحرر العمود الفقري من الأوضاع السيئة، وتسمح للقفص

الصدري بالحركة الجيدة، وتحافظ على التنفس عن طريق الأنف بإبقاء الفم مغلقاً.

* * *

المراجع المعتمدة

١ ـ الطب النبوي ـ ابن قيم الجوزية.

٢ ـ الطب الوقائي ـ د. أحمد ديب دشاش.

٣ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول ـ ابن الأثير الجزري.

٤ ـ في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث ـ د. محمود طلّوزي.

٥ ـ الشيخ عبد المجيد الزنداني ـ أشرطة كاسيت.

٦ ـ الأمراض الخمجية ـ د. مدني الخيمي.

٧ ـ الأمراض الجلدية والزهرية ـ مجموعة من الأساتذة في كلية الطب.

٨ ـ مبادىء الطب الباطني ـ هاريسون.

٩ ـ الجراحة الصغرى ـ د. وليد النحاس.

١٠ ـ الجراحة البولية ـ د. وليد النحاس.

١١ ـ النحلة تسبح الله ـ محمد حسن حمصي.

١٢ ـ مع الطب في القرآن الكريم ـ د. عبد الحميد دياب د. أحمد قرقوز.

١٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني.

١٤ ـ لماذا حرم الإسلام هذه الأشياء ـ د. محمد كمال عبد العزيز.

١٥ ـ الجراثيم الطبية ـ د. عدنان تكريتي.

١٦ ـ الإعجاز الطبي في القرآن ـ د. السيد الجميلي.

١٧ ـ أمراض جهاز الهضم ـ د. منذر الدقاق.

١٨ ـ أمراض الغدد الصم ـ د. محمد علي هاشم / د. وائل باشا.

١٩ ـ التخدير والإنعاش ـ مجموعة من الأساتذة في كلية الطب.

٢٠ ـ روائع الطب الإسلامي ـ د. محمد نزار الدقر.

٢١ ـ الطب النبوي في ضوء العلم الحديث ـ د. غياث الأحمد.

٢٢ ـ أمراض العين ـ مجموعة من الأساتذة في كلية الطب.

٢٣ ـ المقرر في طب الأطفال ـ مجموعة من الأساتذة في كلية الطب.

٢٤ ـ وجيز الطفيليات الطبية ـ د. برهان الدين الحفار.

٢٥ ـ الأمراض الجراحية ـ بحث النقاهة ـ مجموعة من الأساتذة في كلية الطب.

الفهرس

صدر للمؤلف

١ ـ آيات طبية في القرآن الطبعة الأولى ١٩٩٥

٢ ـ آيات طبيعية في القرآن الطبعة الأولى ١٩٩٥

سيصدر قريباً

١ ـ أصول فهم الإسلام.

٢ ـ معنى لا إله إلا الله.